

مسرحدات شكسبير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – القاهرة

رتشارد الثالث

ترجمة

الدكتور عبد القادر القط

مراجعة

الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد

الأستاذ حسن محمود

الطبعة الثانية



دار المعارف

مقدمة

يمكن أن تعد مسرحية رتشارد الثالث من الناحية التاريخية تنمة للأجزاء الثلاثة من مسرحية هنرى السادس، فهي تبدأ من حيث ينتهى الجزء الثالث لتلك المسرحية، وتصور ختام الصراع الطويل بين أسرتى لانكستر ويووك الذى بدأ فى عهد هنرى السادس وانتهى بمقتل رتشارد الثالث واستيلاء هنرى السابع من أسرة لانكستر على الحكم. وقد تزوج هذا الملك إليزابيث سليلة أسرة يورك. فوضع حدًا للصراع بين الأسرتين وجمعهما فى سلالة واحدة.

وقد قام رتشارد فى مسرحية هنرى السادس بدور كبير ينبئ بما كان فى نفسه من طموح وما جبل عليه من شر. وفى مسرحيتنا هذه نرى كيف رسم خطته الجريئة لكى يحقق طموحه ويصعد إلى العرش. ونرى كيف نفذ تلك الخطة فى إصرار ووحشية حتى انتهى إلى ما يريد.

ومن المرجح أن المسرحية قد كتبت بعد ثلاثية هنرى السادس مباشرة وإن لم يعرف تاريخ كتابتها على وجه التحقيق. على أن مؤرخى أدب شكسبير يكادون يتفقون على أنها قد ألفت بين عام ١٥٣٩ و ١٥٩٥.

وهناك شك فى نسبة المسرحية إلى شكسبير. ويرى بعض الباحثين أن دور شكسبير فيها قد اقتصر على المراجعة والتنسيق وأنها من وضع المؤلفين الذين كتبوا ثلاثية هنرى السادس، بينما يرى آخرون أنها من تأليف مارلو وقد تركها ناقصة فأتمها شكسبير. مع ذلك فإن هذه الشكوك لا ترقى إلى درجة الدليل الحاسم الذى يثبت أن شكسبير لم يكتب هذه المسرحية بنفسه. ويرى الباحثون إذا صح أن شكسبير قد قام بدور المراجع لها فحسب فإن مراجعته كانت أكبر من مجرد المراجعة العادية، ففى أسلوبها وبنائها المسرحى ما يوحي بفن شكسبير فى مرحلته المبكرة.

والمسرحية تعرض مأساة رتشارد بطريقة تحافظ على التقاليد المسرحية القديمة، ففيها ذلك المصير القاسى الذى تساق إليها معظم الشخصيات، وفيها من سلطان الظروف والأقدار ما يتحكم فى سلوك تلك الشخصيات.

وإذا كنا نتعاطف مع شخصيات شكسبير فيما يصيبها من مأس فى مسرحياته الأخرى، فإننا لا نحسن بأى عطف نحو رتشارد الثالث فى هذه المسرحية. ذلك بأن المؤلف قد صوره نموذجًا كاملاً للشر نتتبع مصيره وكأنه نتيجة حتمية لسوكه وطبيعة شخصيته. فهو شخصية غير إنسانية تتساق فى طريق الشر بأسلوب آلى ليس فيه ما فى السلوك الإنسانى من تطور

وتعتقد. وهناك مثلاً فرق واضح بينه وبين ياجو فى مسرحية عطيل. فرغم ما فى شخصية ياجو وسلوكه من شذوذ، فإننا لا نمك إلا أن نتقبله وننتفع به لما نلمس فى نفسه من البواعث المعقدة – والعواطف الإنسانية المتضاربة. ففى نفسه من الضعف والعقدة والشر والخير والتردد والإقدام ما فى النفس الإنسانية، وهو لا يمضى فى خطته إلا بعد صراع طويل بين كل تلك العناصر النفسية المعقدة.

ومن هنا نستطيع رغم شره أن نأسى له ونتعاطف معه فى مصيره المحتوم، أما رتشارد فإننا نراه وقد رسم فى مناجاته لنفسه فى مطلع المسرحية طرقاً لم يحد عنه طوال المسرحية رغم ما اقترفه من آثام بشعة، كانت جديرة بأن تثير فى نفس أى إنسان كثيراً من المشاعر المتضاربة وتدفعه إلى كثير من التردد والتفكير، قبل الإقدام على اقترافها. وهو من هذه الناحية يوشك أن يكون مجرد نموذج فنى لشر وتجسيماً لفكرة الإثم.

لهذا طغت شخصيته على سائر شخصيات المسرحية بما لديها من عواطف إنسانية لأن تلك الشخصيات لم تكن تستمد وجودها إلا بمقدار صلتها به.

ومع ذلك ففى المسرحية كثير من المواقف المؤثرة يرتقى فيها الأسلوب إلى مستوى شعرى عال، يستمد براعته من براعة رتشارد فى الحديث وقدرته على التأثير، تلك القدرة التى اتخذ منها سلاحه الأول لتنفيذ طموحه وشره. ولكن هذه البراعة فى الحديث لم تستطع رغم ذلك أن تضى على رتشارد شيئاً من الطابع الإنسانى لأنها لم تكن إلا مجرد وسيلة إلى مآربه الآثمة....

عبد القادر القط

أشخاص المسرحية

Edward IV

الملك إدوار الرابع

إدورد أمير ويلز (الملك إدورد الخامس فيما بعد)

ابنا الملك

Edward Prince of Wales

ريتشارد دوق يورك Richard Duke of York

جورج دوق كلارنس George Duke of Clarence

أخو الملك

ريتشارد دوق جلوستر (الملك ريتشارد الثالث فيما بعد)

Richard Duke of Gloucser

Henry Earl of Richmond

ولد صغير لدوق كلارنس

هنري إيرل ريتشموند (الملك هنري السابع فيما بعد)

Gardinal Bouchier

كاردينال بورشيه (رئيس أساقفة كنتر برى)

Thomas Rotherham

توماس روتر (رئيس أساقفة يورك)

John Morton of Ely

جون مورتون (أسقف أيلي)

Duke Buckingham

دوق بكنجهام

Duke Norfok

دوق نورفوك

Earl Surry

إيرل سري (ابن دوق نورفوك)

Earl Rivers

إيرل ريفرز (أخو الملكة إليزابيث)

Marquess of Dorset المركيز دورست

(ابنا إليزابيث)

Lord Grey

اللورد جراي

Earl Oxford	إيرل أكسفورد
Lord Hastings	اللورد هيستنجز
Lord Stanley (Earl Derby)	اللورد ستانلى (ويدعى أيضًا إيرل دربى)
Lovel	اللورد لوفل
Thomas Vaughan	سير توماس فوجان
Richard Ratcliff	سير رتشارد راتكليف
William Gatesby	سير وليام كاتسبى
James Tyrrel	سير جميس تيرل
James Bount	سير جميس بلونت
Walter Herbert	سيور وولتر هربرت
Robert Brakenbuty	سير روبرت براكنبرى (رئيس شرطة البرج)
Chrisotpler Urswick	كريستوفر إيرزوك (قس)
	قس آخر
Tressel and Berkeley	تريسيل وبيركلى (سيدان من أتباع ليدى آن)
(Wilshire)	عمدة لندن، حاكم ويلتشير.
Elizabeth	إليزابث (الملكة، زوج إدورد الرابع)
Margaret	مرجريت (أرملة هنرى السادس)
Duchess of Youk	دوقة يورك (أم هنرى الرابع)
Lady Anne	ليدى آن (أرملة إدورد أمير ويلز وابن هنرى السادس وقد تزوجت من بعد رتشارد الثالث)

أشباح من قتلهم رتشارد.

لوردات وغيرهم من الأتباع - ضابط ومسجل -

مواطنون - قتلة - رسل وجنود وغيرهم

المكان - إنجلترا

الفصل الأول

المنظر الأول

شارع بلندن

(يدخل رتشارد دوق جلوستر)

دوق جلوستر : الآن ^(١) قد أحالت شمس يورك ^(٢)

شتاء أحزاننا إلى صيف رائع.

وثوى فى صدر المحيط العميق.

كل ما جثم على بيتنا من سحب.

الآن يكلل غار النصر جباهنا.

٥

ونعلق أسلحتنا المثلومة على الجدران، للزينة وللذكرى،

لقد استحالت هجماتنا الصارمة المباغطة إلى اجتماعات مرحة

وزحفنا المروع، إلى رقص ممتع،

وبسط إله الحرب العبوس جبينه المقطب،

وبعد أن كان يمتطى صهوة الجياد المدرعة

١٠

ليلقى الرعب فى نفوس الأعداء الهلوعين

غداً يثبت خفيفاً فى غرفة محبوبته،

على أنغام العود المتعة المثيرة،

أما أنا، الذى لم أسو فى خلقه تبيح لى أن أمارس أفانين الحب،

(١) أى توكسبرى بعد وقعة (Tewksbury)

(٢) ورد هذا اللفظ Sonne, Son

ولم أخلق لأمتع النظر بصوتى على مرآة حبيبة.
أنا الذى خلق على عجل، ولم يؤت من جمال المحبين،
ما يخطر به أمام حسناء مختالة لعوب،
أنا الذى حرم اتساق القسمات
وزيفت الطبيعة الخادعة بنيته،

أنا المشوه المنقوص، الذى أرسل قبل الألوان
إلى هذا العالم النابض بالحياة ولما يكد يتم خلقه،
أنا الذى تتبجه الكلاب إذا وقف عليها،
لما تراه من بالغ عجزه، وغرابة هيئته،
أما أنا فلا أجد فى هذا الوقت، وقت السلم،
الذى تخفت فيه الأصوات وترق، شيئاً من المتعة

أتسلى به؛
غلا أن أخالس النظر إلى ظلى فى ضوء الشمس؛
وأتغنى بخلقى الشائبة.
فلأكن إذن شريراً!
ما دمت لا أصلح للحب،

ولا للاستمتاع بهذه الأيام الجميلة الزاهرة؛
ولأمنح تلك الأيام ومتعها اللذيذة بغضى وحقدى؛
لقد رسمت خططى وشرعت فى مقدماتها الخطيرة،
لأقيم بالنبوءات الفارغة والتشهير، والأحلام،
بغضاء مهلكة بين الملك وبين أخى كلارنس.

ولئن صح أن الملك إدورد يبلغ من الصدق والعدل

ما ابلغه أنا من الدهاء والزيف والخديعة،

فليسجنن كلارنس اليوم ولتضيق عليه المحابس من أجل تلك النبوءة
التي تزعم: أن ورثة إدورد سيقتلون بيد رجل اسمه الأول بحرف الجيم.

ألا فلترسى أيتها الأفكار إلى قرارة نفسى،

فها هو ذا كلارنس قد أقبل.

٤٠

(يدخل كلارنس يحيط به حرس ومعه براكنبرى)

عم صباحًا يا أخى - ما شأن هؤلاء الحراس المسلحين من حولك؟

: لقد شاء جلالة الملك، حرصًا منه على سلامتى،

كلارنس

أن يعين هذا الحرس ليحملنى إلى البرج.

٤٥

: ولم؟

دوق جلوستر

لأن اسمى جورج!

:

كلارنس

: وا أسفاه يا سيدى إذ تؤخذ بجزية لا يدلك فيها.

دوق جلوستر

لقد كان ينبغى له أن يعاقب على ذلك معمدك الذى عمدك،

أو ترى قد عزم الملك

على أن يعمك فى البرج ويسميك من جديد؟

٥٠

ولكن ما سر هذا الأمر يا كلارنس؟ هلا أخبرتنى؟

: سأخبرك يا رتشارد حين أعرفه،

كلارنس

فإنى لأؤكد أن ليس لى به حتى الآن علم.

ولن يخیل إلى أن الملك يستجيب للنبوءات والأحلام،

وقد انتقى من بين حروف الهجاء حرف الجيم

٥٥

وقال إن سارحة أنبأته أن "جيم"

سيغتصب العرش من أبناؤه.

ولما كان اسمى هو جورج يبدأ بحرف الجيم
فقد ظن أننى هو،

وتلك النبوءات، وأمثاله من العبث،

٦٠

هى التى دعت جلالته فيما بلغنى - إلى أن يلقى بى فى السجن.

دوق جلوستر : عجباً إن ذلك لا يكون إلا حين يخضع الرجال لحكم النساء.

إن من يرسلك الآن إلى البرج ليس هو الملك،

بل إن زوجه ليدى جراى، يا كلارنس،

هى التى تنيره عليك إلى هذا الحد.

٦٥

الم تكن هى وأخوها، ذلك الرجل الطيب النبيل

أنتونى ودفيل، هما اللذين دفعاه إلى أن يرسل

باللورد هيستجز إلى البرج،

فلم يخرج منه إلا اليوم؟

أى كلارنس، لسنا بمأمن! لسنا بمأمن!

٧٠

كلارنس : تالله من أحد بمنجاة من الخطر،

إلا أقارب الملكة ورسل الليل،

الذين يذرعون الطريق بين الملك وخليته "شور"

الم تسمع إلى أى احد

تضرع إليها لورد هيستجز حتى يطلق سراحه؟

٧٥

دوق جلوستر : لقد شكوا مولاي اللورد كبير الأمناء إلى "جلالته"

فى ذلة وخضوع فظفر بحريته؛

ماذا أقول، يخيلى إلى أن خير سبيل نسلها

لكنى نحظى بعطف الملك،

أن نكون من رجالها، وأن نرتدى لباس أتباعها،
فإن الأرملة ^(١) التي أبلتها السنون وفطرت على الشك والوساوس
قد أصبح لها هي والخليلة، السلطان النافذ في الدولة.
بعد أن رفعهما أخونا الملك إلى مرتبة النبيلات.

براكنبرى

: معذرة أيها السيدان

فإن الملك قد أصدر أمرًا قاطعًا
ألا يخلو إلى أخيه أحد مهما يكن شأنه.

جلوستر

: ولا يهمننا هذا، فإنك أي براكنبرى

تستطيع، إذا أردت، أن تشارك في كل ما تقول،
فليس في حديثنا خيانة أيها الرجل. وإنما نحن نقول إن الملك

حكيم فاضل، وملكته النبيلة

على كبر سنها - جميلة لا تشعر بشيء من الغيرة.

ونقول إن امرأة "شور" ذات قدم بديعة،

وشقة كالكرز، وعين جميلة، ولسان جد تمتع،

وإن أقارب الملكة يرفعون إلى مرتبة النبلاء.

فما قولك أنت يا سيدى؟ أتستطيع أن تتكرر شيئًا من هذا؟

براكنبرى:

: ليس لى شأن بهذا يا سيدى اللورد.

دوق جلوستر

: ليس لك شأن بالسيدة شور! ألا فلتعلم أيها الرجل إنه لخير لمن له
شأن بها.

أن يفعل هذا وحده في الخفاء؛ اللهم إلا شخصًا واحدًا.

(١) يعنى الملكة ، وكانت أرملة قبل أن تتزوج.

- ١٠٠ براكنبى : ومن يكون هذا الشخص يا سيدى اللورد؟
- دوق جلوستر : زوجها يا خبيث! أو تفضح أمرى وتشى بى؟
- براكنبى : معذرة يا سيدى إذا سأنتك
- أن تكف عن الحديث مع الدوق النبيل.
- كلارنس : نحن نعرف ما أمرت به - أى براكنبى - وسنطيع ذلك الأمر.
- ١٠٥ دوق جلوستر : نحن أشد رعايا الملكة خضوعًا واستكانة وقد، حققت علينا الطاعة.
- إلى اللقاء يا أخى - إننى ذاهب إلى الملك؛
- وسأفعل كل ما تشاء، حتى أرد إليك حريتك،
- حتى ولو اضطررت أن أنادى أرملة إدورد بيا أختى ^(١)
- غير أن هذا العقوق ^(٢) الشديد لحق الإخوة
- يحز فى نفسى أشد مما تستطيع أن تتخيل.
- ١١٠
- كلارنس : إنى لأعلم ذلك لا يرضيك ولا يرضينى.
- دوق جلوستر : إن سجنك لن يطول على أية حال،
- وسأخلصك أو ألقى فى السجن دونك،
- أما الآن فيجب أن تتذرع بالصبر؛
- ١١٥ كلارنس : لا حيلة لى فى ذلك، إلى اللقاء
- (يخرج كلارنس وبراكنبى والحرس)
- دوق جلوستر : اذهب، واسلك ذلك الطريق الذى لا رجعة لك منه
- أى كلارنس، أيها الساذج الأمين. إن لك فى نفسى من الحب،

(١) أخته بزواجها من أخيه الملك كما يقضى العرف الإنجليزى.

(٢) من الملك.

ما يحملنى على أن أبعث بروحك قريباً إلى السماء،

لو رضيت السماء بأن تقبل ما بين أيدينا من قرىبان!

١٢٠

ولكن من المقبل علينا؟ أهو هيستتجز الذى أطلق سراحه اليوم؟

(يدخل لود هيستتجز)

هيستتجز : طاب وقتك يا سيدى اللورد الكريم!

دوق جلوستر : وطاب وقت سيدى الكريم كبير أمانا القصر

مرحباً بك فى هذا الجو الطلق

١٢٥ كيف كان احتمال سيدى النبيل كما ينبغى لكل سجين.

ولكنى سأعيش يا سيدى

لأرد الجميل إلى من كانوا السبب فى سجنى.

دوق جلوستر : بلا ريب، بلا ريب! وكذلك سيفعل كلارنس؟

١٣٠ فإن أعدائك بالأمس هم اليوم أعداؤه؛

وقد ظفروا به كما ظفروا بك

هيستتجز : لشد ما آسف أن يحبس النسر

وتترك الحدآت وضعاف الصقور، لتقتنص كيف تشاء.

دوق جلوستر : أثمة أنباء من الخارج؟

هيستتجز : إن الأنباء من الخارج لا تبلى فى سوئها مبلغ الأنباء من الداخل.

فالملك مريض واهن القوى قد علته الكآبة والهموم،

وأطباؤه يخشون على حياته خشية شديدة.

دوق جلوستر : بحق "بولس" القديس إنها لأنباء سيئة!

لقد اتبع نظاماً صارماً فى العظام زمناً طويلاً،

حتى هزل جسد جلالته هزالا شديداً؛

إنه لأمر يبعث التفكير فيه على الحزن الشديد.

أين هو، هل يلزم الفراش؟

هيستتجز : أجل.

دوق جلوستر : اسبقنى إذن وسألق بك.

(يخرج هيستتجز)

إنه . فيما أرجو . لا يمكن أن يعيش، ويجب ألا يموت

قبل أن يرسل جورج إلى السماء على عجل.

فلأدخل الآن لأزيده بغضا لكларنس،

بأكاذيب مدعمة أحسن تدعيم بالحجج القوية.

وإذا لم أفشل من خطتي الماكرة،

فلن يعيش كларنس بعد اليوم؛

وليتغمده الله الملك إدورد، من بعد، برحمته؛

وليترك لى الدنيا لأمرح فيها.

وأترّوج حينئذ صغرى بنات "وريك"

ولا على إن كنت قتلت زوجها وحماها؛

فإن أسرع وسيلة لاسترضائها

أن أصبح لها زوجاً وأباً.

وانى لفاعل هذا؛ لا بدافع الحب وحده،

بل أفعله لغاية خفية أخرى،

لا بد من أبلغها بذلك الزواج.

على أن موقفى، إلى الآن، كموقف عربه تريد أن

تسبق الحصان إلى السوق؛

فما زال كلارنس على قيد الحياة. وما زال إدورد يعى ويحكم.

ولا يجدر بى أن أحصى أرباحى إلا بعد رحيلهما.

(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثانى

المنظر نفسه - شارع آخر

(يدخل جثمان الملك هنرى السادس فى حراسة حملة الرماح،
وليدي آن فى ثياب الحداد يحف بها ترسل وبوكلى).

آن

: ضعوه! ضعوا حملكم النبيل،

إن كان للنبل أن يحتويه كفن.

ودعون لحظة أنح عليه، وارثى سقوط

سليل لانكستر المجيد. قبل الأوان.

٥

أيتها الجثة الهامدة الباردة لملك قديس!

أيها الرماد الكابى من بيت لانكستر.

أيتها البقية من الدم الملكى مالك غاب عنك دم الحياة!

أيقق لى أن أدعو روحك،

لتسمع نواح آن المسكينة،

١٠

زوج ولدك إدورد، ولدك القتل..

الطعين باليد نفسها التى أصابتك بهذه الجروح!

انظر! إنى لأصعب فى تلك المنافذ التى انطلقت منها حياتك

بلسما من عيونى المجعدة لا غناء فيه

ألا فلتحل اللعنة على تلك اليد التى صنعت تلك الثقوب!

ولتحل اللعنة على القلب الذى واته القسوة على فعل هذه الفعلة!

١٥

هذه الفعلة!

ولتحل اللعنة على دم ذاك الذى أراق منها دمك.

وليكن مصير ذلك الشقى البغيض الذى أشقانا بموتك
أقطع من المصير الذى أتمناه للذئاب بل للعناكب أو الضفادع
أو سواها من الزواحف السامة التى تدب على الأرض.

وإن قدر له أن يوهب الولد، فليأت ولده سقطا شائها

٢٠

يرى نور الحياة قبل الأوان،

ويروع منظره القبيح الغريب أمه

التي كانت تعقد عليه الآمال،

ويرث ما كتب على أبيه من شقاء!

وإذا قدر له أن يتخذ زوجًا

٢٥

فليكتب لها من الأحزان أكثر مما أصابنى بموت

زوجى الشاب وموتك.

والآن فلنأخذوا حملكم المقدس،

الذى أتيتم به من كنيسة القديس بولس

ولتيمموا شطر تشرتس لدفنه هناك.

على أن هذا الحمل قد أبهظكم فلتستريحوا،

٣٠

بينما أمضى فى رثائى لجثمان الملك هنرى.

(يدخل جلوستر)

: انتظروا يا حملة الجثمان وأنزلوه إلى الأرض.

دوق جلوستر

: أى ساحر شرير ذلك الذى أخرج هذا الشيطان،

أن

ليقف فى طريق أعمالنا المقدسة الخيرة؟

: أيها الأوغاد أنزلوا الجثة، وإلا فبحق بولس القديس

٣٥ دوق جلوستر

لأحيلن من يعصينى منكم إلى جثة!

حارس من حملة : سيدى اللورد تتح وأفسح الطريق للنعش.
الرماح

دوق جلوستر : أيها الكلب الوقح قف حين أمرك،

وارفع رمك بعيداً عن صدرى،

أو بحق بولس القديس لأصرعك تحت قدمى، ٤٠

وأطأ بها جسدك، أيها المتسول، لما أبديت من وقاحة،

آن : ماذا! أترعدون؟ هل أصابكم الخوف جميعاً؟

وا أسفاه. ولكنى لا ألومكم فأنتم بشر، ٢م

ولا تستطيع عيون البشر أن تحتل النظر إلى الشيطان.

إليك عنا يا رسول الجحيم المخيف، ٤٥

فليس لك سلطان إلا على جسده الفانى،

أما روحه فلن تستطيع أن تتألفها! فاذهب.

دوق جلوستر : رحماك أيتها القديسة الجميلة ولا تجعلى الغضب يستبد بك.

آن : اذهب أيها الشيطان القذر بحق الله، ودعنا فى سلام.

فلقد خلقت من الأرض السعيدة جحيماً. ٥٠

مليئاً بصيحات اللعنة والصرخات المكرومة،

وإن طاب لك أن تنظر إلى أعمالك البشعة،

فألق نظرة على ذلك المثال الناطق بمجازرك.

أيها السادة، انظروا! انظروا،

لقد فغرت الجراح من جثة هنرى أفواهاها المتجمدة ٥٥

وراحت تنزف دمًا من جديد!

ألا فلتخجل، ولتخجل يا كتلة من الدنس شائهة،

إن محضرك هو الذى ينفث هذا الدم،

من عروق باردة جافة لا دم فيها.

إن فعالك الجائرة العجيبة.

تثير هذا الطوفان البالغ العجب.

٦٠

رباه يا صانع هذه الدماء انتقم لموته!

وأنت أيتها الأرض يا من تشرين هذه الدماء انتقمى لموته؛

ولتصرع السماء القاتل بصواعقها،

أو فلتتشق الأرض فى سعة وتبتلعه حيًّا؟

كما تبتلع دم ذلك الملك الكريم

٦٥

الذى صرعه تلك اليد الأثيمة،

: سيدتى، إنك لا تعفين شيئًا من شرائع الرحمة،

دوق جلوستر

التي تجزى بالشر خيرا ،وباللجنة بركة .

آن

أيها الشرير ، أنك لا تعرف شيئًا من الله أو الإنسان

وما من وحش خلا قلبه من الرحمة، مهما بلغت ضراوته.

٧٠

: ولكن قلبى لا يعرف الرحمة مطلقًا، فأنا إذن لست حيوانًا.

دوق جلوستر

: ما أعجب أن تتطق الشيطان بالحق!

آن

: وأعجب من ذلك أن يستبد الغضب بالملائكة.

دوق جلوستر

فلتتعطف سيدتى، يا من بدت بكمالها فى صورة الملائكة،

وتأذن لى أن أبرئ نفسى، بالحجج البينة، من تلك الآثام المزعومة.

٧٥

: تعطف أنت، أيها المسيح،

آن

وأذن لى أن أسوق من الحجج البينة.

ما أرمى به نفسك الرجيمة بالآثام المفصوحة.

- دوق جلوستر : يا من يعجز اللسان عن وصف جمالها،
- ٨٠ هبيني شيئاً من وقتك وصبرك لأبرئ نفسي.
- آن : يا من يعجز القلب عن إدراك دنسه
- لن تستطيع أن تجد عذراً مقبولاً إلا أن تشنق نفسك.
- دوق جلوستر : ولكنى بمثل ذلك اليأس أدين نفسي.
- آن : وباليأس يلتمس لك العذر.
- ٨٥ إذ تكون قد انتقمت من نفسك انتقاماً تستحقه؛
- لما جنيته من قتل من لا يستحق أن يقتل.
- دوق جلوستر : أو أقول إننى لم أقتلهما؟
- آن : فلنقل إذن إنهما لم يقتلا:
- ولكنهما الآن قتيلان وبيدك أيها العبد الرحيم.
- ٩٠ دوق جلوستر : ولكنى لم أقتل زوجك.
- آن : عجباً فهو حى إذن،
- دوق جلوستر : كلا، لقد مات واغتالته يد إدورد
- آن : إن فمك الدنس ينطق بالكذب. لقد رأت الملكة مرجريت
- سيفك الغادر يقطر من دمه،
- ٩٥ سيفك الذى صوبته يوماً إلى صدرها،
- لولا أن نجاه عنها إخوتك.
- دوق جلوستر : لقد أثارنى لسانها البذىء
- ذلك الذى ألقى جرمهم على كتفى البريئتين.

آن : لقد أثارتك نفسك المولعة بسفك الدماء،

١٠٠ التى لم تفكر قط إلا فى المذابح؛

ألم تقتل هذا الملك؟ أسلم لك بها!

تسلم لى أيها القنفذ! إذن فليسلم لى الله أيضاً

بأن أستنزل اللعنة عليك جزءاً فعلتك الخبيثة.

وا حسرتاه لقد كان دمثاً وديعاً فاضلاً!

١٠٥ دوق جلوستر : وهذا ما جعله أصلح لرب السموات الذى اختاره إلى جواره

آن : إنه فى الجنة التى لن تدخلها أبداً

دوق جلوستر : فليشكرنى إذن، فقد أعنته وأرسلته إلى هناك،

لأنى رأيتَه أصلح للسماء منه للأرض.

آن : أما أنت فلا تصلح إلا للجحيم.

١١٠ دوق جلوستر : بل أصلح لمكان آخر اذا أذانت لى أن أسميه ،

سجين مظلم ،

مخدعك.

آن : إن الأرق ليحل فى الغرفة التى تنام أنت فيها.

دوق جلوستر : أجل يا سيدتى حتى أنا معك.

آن : أرجو ذلك.

دوق جلوستر : أعلم ذلك ^(١). ولكن دعينا يا سيدتى الرقيقة، آن،

(١) تعنى آن بكلمة "تنام" نومته الأبدية، أى موته، فى حين يعنى جلوستر بقوله "أنام" أضاجع - لذلك قالت

أرجو ذلك وقال هو : أعلم ذلك.

نترك التراشق الحاد بالقرائح.

ونفىء إلى شيء من الجد أهدأ وأرصن.
أليس من كان سبباً في ذلك الموت المبكر
الذى حل بهنرى وإدورد، سليلى بيت بلانتاجت
ملوماً لوم من نفذه؟

١٢٠ آن : إنك أنت السبب والمنفذ الرجيم معاً.

دوق جلوستر : لقد كان جمالك سبب ما فعلت.
جمالك الذى طالما طاف بى فى منامى،
ودفعنى إلى أن آخذ على عاتقى قتل الناس أجمعين؛
لأستريح ساعة واحدة إلى صدرك الحنون.

١٢٥ آن : إذن فاعلم أيها القتال أنه لو قد دار بخلدى ذلك

لانتزعت جمال خدى بأظافرى هذه.
دوق جلوستر : إن يعين لا تحتملان أن تنظرا إلى حطام الجمال البديع،
فلا ينبغي أن تشوّهه بمشهد منى.
فكما يفرح الناس جميعاً بنور الشمس.

١٣٠ كذلك أفرح بجمالك، فهو شمسى وحياتى.

آن : ألا فليغش الليل البهيم نهارك، وليطمس الموت حياتك.
دوق جلوستر : لا تستنزلى اللعنات على نفسك، أيتها المخلوقة الجميلة،
فأنت النهار والليل وكلاهما.

آن : وددت لو كنتهما لأتأر منك.

دوق جلوستر : إنها لخصومة عجيبة.

١٣٥

أن تبتغى الثأر ممن يحبك.

آن

: إنها خصومة قوامها الحق والعقل؟

أن أثار ممن قتل زوجي.

دوق جلوستر

: إن من سلبك زوجك، يا سيدتي، قد فعل ذلك ليهيئ لك زوجًا أفضل.

١٤٠ آن

: ليس بين الأحياء من هو أفضل منه.

دوق جلوستر

: بل إنه ليعيش هذا الذي يحبك أكثر منه.

آن

: سمه

دوق جلوستر

: بلانتاجنت

آن

: عجبًا لقد كان بلانتاجنت

دوق جلوستر

: إنه ليعرف بهذا الاسم نفسه؛ ولكنه من معدن أفضل.

آن

: وأين هو؟

دوق جلوستر

: هنا.

(تبصق عليه).

لماذا تبصقين علي؟

آن

: وددت، من أجلك، لو أن بصقتي كانت سما

قاتلا.

١٤٥

دوق جلوستر

: ما كان لهذا الموضع العذب أن ينفث السم أبدًا،

آن

: ما نفث سم على ضفدع أقدر منك!

أغرب عن وجهي فإنك تؤذي عيني

دوق جلوستر

: أما عيناك، يا سيدتي الحلوة، فقد سحرتا عيني.

١٥٠ آن

: وددت لو كانتا عيني أفعى تصرعانك بسحرهما.

دوق جلوستر

: وددت لو كانتا كذلك لأموت ميتة سريعة:

فإنهما الآن تسلبان كل معنى للحياة.

لقد استنزفت عيناك هاتان من عيني دموعاً مرة؛

وقرحت منهما الجفون بما سكبتا من قطرات غزيرة

كدموع الأطفال،

١٥٥

عيني اللتين لم تسكبا من قبل دموع الندم قط؛

حتى حين بكى أبى يورك وإدورد،

إذ سمعا أنين "روتلاند" الأليم،

بعد أن طعنه بالسيف "كليفورد" ذو الوجه العبوس.

ولا حين روى أبو الباسل قصة مصرع أبى الأليمة،

١٦٠

وقطع حديثة أكثر من مرة ليبكى وينتحب كالأطفال؛

حتى بللت دموع الحاضرين خدودهم كما يبيلل المطر الأشجار؛

ففى ذلك الوقت الملىء بالحزن

لم ترق عيناى الأبيتان واحدة

تقصح عن الذلة والمسكنة.

١٦٥

ولكن جمالك قد استطاع أن ينزل ما استعصى

على تلك الأحزان، فغامت عيناى من كثرة البكاء

ومع أنى لم أتوسل قط إلى عدو أو صديق،

ولم يتعود لسانى أبداً أن ينطق بالحديث الحلو الرقيق،

فإن جمالك قد دفعنى إلى الكلام،

١٧٠

وقلبى الأبى يحث لسانى ويتوسل إليه أن ينطق.

(تنظر إليه بازدراء)

لا تعلمي شفتيك هذا الازدراء، يا سيدتي،
فقد خلقنا للقبل لا لمثل هذا الاحتقار.

وإذا لم يستطع قلبك الحريص على الثأر أن يغفر،
فهاأنذا أقد مغليك هذا السيف الصارم،

لتغمديه، إذا شئت، في صدري المخلص،
وتزهقي روحى التى تعبدك.

إنى أكشف عنه للضربة القاضية،
وأضرع إليك جاثيًا أن تقتليني.

(يكشف عن صدره فتشهر سيفه نحوه.

لا، لا تحجمي فإنى حقًا قد قتلت الملك هنرى؛

وإن كان جمالك هو الذى دفعنى إلى ذلك.

فهلمى، هلمى، فأنا الذى طعنت إدورد الشاب

وإن كان وجهك النورانى هو الذى حفزنى.

خذى السيف ثانية... أو فخذينى زوجًا.

: انهض أيها المنافق فلن أكون أنا قاتلتك،

وإن تمنيت لك الموت.

(تسقط السيف من يدها)

: إذن مرينى أن أقتل نفسى فأفعل.

: سبق أن أمرتك بهذا.

لقد كان ذلك فى سورة غضبك

ولكن قولها مرة أخرى،

١٧٥

١٨٠

١٨٥

دوق جلوستر

آن

دوق جلوستر

وعندئذ تقتل هذه اليد فى سبيل حبك حباً أشد إخلاصاً

من ذلك الحب الذى صرعته من أجل حبك

١٩٠

وستكونين السبب فى مصرعهما.

آن : وددت لو عرفت فى مصرعهما.

دوق جلوستر : إن صورته على لسان.

آن : أخشى أن يكون كلاهما زائفاً.

١٩٥ دوق جلوستر : إذن فلن يكون على ظهر الأرض لسان مخلص.

آن : حسبك، حسبك وضع سيفك فى غمده.

دوق جلوستر : قولى إذن إن السلام قد عاد بيننا.

آن : ستعرف ذلك فيما بعد.

دوق جلوستر : ولكن أيمكننى أن أحيأ على رجاء؟

٢٠٠ آن : كل الرجال فيما أعتقد يحيون عليه.

دوق جلوستر : تعطفى والبسى هذا الخاتم.

آن : إن الأخذ لا يعنى العطاء.

(تضع الخاتم فى إصبعها)

دوق جلوستر : انظرى كيف يطوق هذا الخاتم إصبعك

كما يطبق صدرك على قلبى المسكين.

خذيهما كليهما فكلاهما لك.

٢٠٥

وإذا أذنت لعبدك الضارع المسكين

أن يسأل يدك الحانية صنيعاً واحداً،

فستوثقين سعادته إلى الأبد.

آن : وما هو؟

٢١٠ دوق جلوستر : أن تتفضلى فنتخلى عن مهمتك الأليمة.

لذلك الذى يستحق الحزن أكثر منك.

وترجعى حالاً إلى قصر "كروسبى"

حيث أوافيك بأسرع ما أستطيع لأراك،

بعد أن أكون قد دفنت هذا الملك النبيل فى دبر

"تشرتشى"

(١١)

٢١٥ وبللت قبره بدموع الندم.

أضرع إليك أن تصنعى هذا المعروف

وإن لم تعرفى دواعيه الخفية الكثيرة.

آن : من كل قلبى! وإنه ليسرنى كل السرور

أهن أرى مبلغ ندمك.

٢٢٠ قلتصحبانى أى تريسلى وبيركلى.

دوق جلوستر : قولى لى كلمة وداع.

آن : إنها لأكثر مما تستحق؛

أما وأنت تعلمنى كيف أتملقك،

(تخرج آن يتبعها تريسلى وبيركلى)

فتخيل أنى قلت لك "إلى اللقاء"

دوق جلوستر : احملوا الجثمان أيها السادة.

٢٥ إلى "تشرتسى"

رجل من حملة : إلى "تشرتسى" أيها اللورد النبيل؟
الرماح

دوق جلوستر : لا، بل إلى هوايت فرايزر. وهناك انتظروا مقدمى

(يحملون الجثمان ويمضون)

هل رأى أحد امرأة قط خطب ودها رجل على هذا النحو؟

وهل رأى احد قط امرأة ظفر بها رجل على هذا النحو؟

سأناها، ولكننى لن أحتفظ بها طويلاً.

٢٣٠

ماذا! آخذها - أنا الذى قتل زوجها (١) وأباه - بكل ما فى قلبها من
حق دفين،

وما على لسانه من لعنات وما فى عيونها من دموع،

وكأنها دماء تشهد على تحمل لى من بغضاء؟

وهذه السدود - هى، والله، وضميرها - تقف

بينى وبينها؛

٢٣٥

وليس لى البتة من معين فى توددى إليها

إلا الشيطان الدميم ونظرات الرياء -

أفوز بها رغم كل ذلك؛ والظروف مجتمعة تتاهضنى؛

- عجباً!

- أتراها قد نسيت إدورد، ذلك الأمير الشجاع،

٢٤٠

- زوجها الذى طعنته فى سورة غضبى فى توكسبرى،

منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر؟

ذلك السيد المليح الحلو الشمائل،

(١) الواقع أنه كان خطيبها ليس غير.

الذى لن تستطيع الدنيا على سعتها أن تجود بمثله.

٢٤٥

لما أغدقت عليه الطبيعة من هباتها -

شباب، شجاع، عاقل، ذو صفات ملكية أصيلة لاشك فيها.

أستطيع بعد ذلك أن تدنس عينها بمرأى،

أنا الذى هصر شباب هذا الأمير الجميل فى ريعانه

وجعلها أرملة لفراش كئيب مكلوم؟

٢٥٠

تقع عينها على أنا الذى لا يساوى بأجمعه نصف إدورد!

على أنا الأعرج المشوه بصورتى هذه!

ولكن يبدو أننى قد انتقصت من قدر نفسى طوال هذا الوقت.

وهذا ما أراهن عليه بدوقيتين نظير فلس واحد.

ولاشك أنها ترانى رجلاً وسيماً حقاً،

فإن لم أستطع أن أرى أنا ذلك،

فلأتحمل ثمن مرآة أشتريها،

ولأستخدم عشرين أو أربعين حائكاً،

ليصنعوا من الأزياء ما يزدان به جسمى.

وما دمت قد رضيت عن نفسى.

٢٦٠

فلأبذل قليلاً ثمنًا لهذا الرضا.

ولكن لابد لى أن أغيب هذا الرجل فى قبره أولاً.

ثم أعود باكياً إلى حبيتى.

فلتشرق أيتها الشمس الجميلة حتى أشتري مرآة

أرى فيها صورتى كلما سرت!

(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثالث

لندن. القصر

(تدخل الملكة إليزابيث واللورد ريفرز واللورد جرای)

- يفرز : صبرا سيدتي، فلا شك أن جلالة الملك.
سيسترد سريعاً ما كان عليه من عافية
- جرای : إن جزعك عليه يزيد من علته،
فبإلله عليك هلا هدأت نفساً، وأدخلت السرور إلى قلب جلالته،
بإقبالك عليه ضاحكة السن قريرة العين.
- ٥ الملكة إليزابيث : ماذا يكون مصيري لو مات؟
- جرای : لن يصيبك من ضرر إلا فقد ذلك السيد الجليل.
- الملكة : إن في فقد ذلك السيد كل ضرر.
- جرای : لقد وهبك الله ولداً باراً، يعزيك عن فقده.
- ١٠ الملكة : أواه! إنه ما زال صغيراً،
وسيكفله رتشارد جلوستر،
وهو رجل لا يحبني، ولا يحب أحداً منكما،
- ريفرز : أو قد قر الرأي على أن يكفله.
- الملكة : هذا ما نعقد العزم عليه، وإن كان لم يتقرر بعد؛
- ١٥ وهو ما لا بد أن يكون إن حدث للملك مكروه.
- (يدخل بكنجهام وستانلي إيرل دربي)
- جرای : ها قد حضر لورد بكنجهام ولورد دربي.

- بكنجهام : طاب وقتك يا صاحبة الجلالة.
- ستانلى : أعاد الله إلى جلالتك مرحك السالف،
- الملكة : أن الكونتس ريتشموند، يا عزيزى اللورد دري،
- ٢٠ يشق عليها أن تؤمن على دعائك الكريم.
- على أنى أؤكد لك أننى لا أحمل لك كرهاً،
- لا من أجل كبريائها أو صلفها،
- رغم أنها زوجك وأنها لا تحبنى
- ستانلى : رجوتك مخلصاً ألا تصدق
- ٢٥ ما يفتريه عليها حاسدوها الكاذبون.
- وإن كان ما يبلغك عنها صحيحاً.
- فاغفرى لها زلتها، غنها ترجع إلى مرضها الذى يجعلها متقلبة
- الأطوار،
- ولا ترجع إلى شر متأصل فى نفسها.
- ريفرز : أرايت الملك يا سيدى اللورد دري؟
- ٣٠ ستانلى : لقد عدنا الآن حالاً، أنا والدوق بكنجهام، من عند جلالته.
- الملكة إلزابث : على أى حد تأملان فى شفائه، أيها اللوردان؟
- بكنجهام : أملاً كبيراً يا سيدتى، إن جلالته يتحدث فى مرح.
- الملكة إلزابث : كتب الله له الشفاء! هل تحدثتما إليه؟
- بكنجهام : أجل يا سيدتى. وهو يرغب فى أن يصلح
- ٣٥ بين دوق جلوستر وبين إخوتك؛
- وبينهم وبين اللورد، كبير أمناء القصر؛

وقد أرسل يطلبهم إلى حضرته.

الملكة الزابث : وددت لو انتهى كل شيء إلى خير. ولكن ذلك لن يكون،

فإنى لأخشى أن تكون سعادتنا قد بلغت ذروتها ^(١)

(يدخل دوق جلوستر وهيستجز ودري)

٤٠ دوق جلوستر : إنه يسيئون إلى ولن أحتمل إساءتهم.

من هم أولاء الذين يشكون إلى الملك؟

م ٣ : إنى قاس، وإنى لا أحبهم؟

وحق القديس "بولس" إنهم لا يحبون جلالته إلا أيسر الحب؛

أولئك الذين يملؤون أذنيه بتلك الشائعات التى تباعد بين القلوب.

٤٥ : ألائى لا أحسن التملق، ولا التطرف،

ولا ألقى الرجال بالابتسام، ولا أداهن، أو أخادع، أو أخاتل،

ولا أنحنى انحناءات الفرنسيين، وأتودد تودد القروء،

ألهذا أأخذ عدواً لدوداً؟

ألا يستطيع رجل صريح أن يعيش دون أن يضر شراً؟

٥٠ : أليس بد من أن يشوه السفلة،

المخنثون، الماكرون، المداهنون، حقيقته الناصعة؟

جراى : على من توجهون فخامتكم الخطاب من بين هذه الجماعة؟

دوق جلوستر : إليك أنت يا من لا شرف له، ولا فضيلة،

متى أذيتك، متى أثمت فى حقك؟

٥٥ : أو أنت؟ أو أنت؟ أو أى واحد من عصبتكم؟

(١) تعنى أن سعادتها قد بلغت أسمى ما يمكن أن تصل إليه ولا بد أن تبدأ فى الانحدار.

قاتلكم الله جميعاً! إن جلالة الملك،
الذى تشمله رعاية أكثر مما تتمنون له،
لا يكاد ينعم بالهدوء لحظة،
حتى تزعجوه بشكاواكم الخسيسة.

٦٠ الملكة إلزابث : أخى جلوستر، لقد أخطأت فهم الأمر
إن الملك قد أرسل إليك بمحض إرادته الملكية،
ولم يحرضه أحد.

ولعله قد فطن إلى حقك الدين،
ذلك الذى تفصح عنه أعمالك المكشوفة،
ضدى وضد أولادى وإخوتى.

ولعله باستدعائك
يعرف أسباب ذلك الحقد، ويقضى عليه.

دوق جلوستر : لست أدري، فإن الدنيا قد ساء أمرها،
حتى غدت العصافير تقنصين صيدها من قمم لا تجرؤ النسور أن
ترتفع إليها.

٧٠ وما دم كل وضع قد صار سيئاً،
فإن كثيراً من السادة قد أصبحوا وضعاء.

الملكة إلزابث : مهلاً، مهلاً! إنى أعرف ما تعنيه، أى أخى جلوستر،
إنك تحسدنى، أنا وأصدقائى، لما ننال من رفعة
لذلك أدعو الله ألا يحوجنا إليك أبداً.

٧٥ دوق جلوستر : وأنا أدعو الله، كذلك ألا يوقعنى فى محنة تحوجنى إليك.
فلقد كنت السبب فى سجن أخى،

وفيما لحقنى من عار، وما أصاب النبلاء من مهانة.

على حين تغدق العطايا الجزيلة

كل يوم لترفع إلى مرتبة النبلاء

أولئك الذين لم يكونوا يملكون قبل يومين اثنين

ما يجعلهم جديرين بهذا اللقب.

٨٠

الملكة إلزابث : أقسم بمن رفعنى من منزلتى التى كنت قانعة بها راضية عنها.

إلى تلك القمة المحفوفة بالمخاوف.

أنى ما أثرت جلالته قط على دوق كلارنس،

بل لقد حاولت جهدى أن أشفع له عنده

إنك تسيء إلى أيها السيد إساءة مخزية

بإثارتك حولى هذه الشكوك الدنيئة زورًا وبهتانًا.

٨٥

دوق جلوستر : لعلك تتكرين أنك كنت السبب.

فى الزج باللورد هيستتجز أخيرًا فى السجن.

٩٠ ريفرز : إن لها أن تنكر يا سيدى اللورد فن...

دوق جلوستر : أن لها تنكر أى لورد ريفرز، فما من أحد يجهل هذا.

إنها تستطيع يا سيدى أن تمضى إلى أبعد من إنكار ذلك.

فتعينك على الوصول إلى منافع جزيلة،

ثم تنكر بعد ذلك أنها أعانتك،

وتعزو ما نلته من شرف إلى مواهبك العالية.

٩٥

أى شىء هذا الذى لا تستطيعه ؟ إنها

تستطيع... أجل وأيم الحق أنها لتستطيع..

ريفرز : ماذا تستطيع بالله! تستطيع أن تتزوج من ملك،

١٠٠

ملك أعزب وسيم فى ميعة الصبا:

ولاشك أن زيجة جدتك كانت أسوأ.

الملكة إلزابث

: يا سيدى اللورد جلوستر! لقد صبرت

أطول مما ينبغى على إهانتك الوقحة،

وسخرياتك المرة، ووالله لأنبئن جلالته بما احتملت

١٠٥

من إساءة بالغة. فإنى لأوثر أن أكون خادماً ريفية

على أن أكون ملكة عظيمة على هذه الحال،

أهان وأزدرى وأهاجم بهذا الأسلوب.

(تدخل الملكة مرجريت وتقف إلى الخلف)

إنى لم أجد فى اعتلائى عرش إنجلترا إلا قليلاً من السعادة

الملكة مرجريت

: رب زد ذلك القليل قلة!

١١٠

إن مكانتك وملكك وعرشك كلها من حقى.

دوق جلوستر

: ماذا! أتهدينى بإبلاغ الملك؟

أبلغيه ولا تحجبى عنه شيئاً!

اسمعى: إنى سأعترف أمام الملك بكل ما قلته.

وأخاطر بالذهاب إلى البرج.

١١٥

لقد آن لى أن أتكلم ما دامت جهودى قد نسيت

كل هذا النسيان.

الملكة مرجريت

: اذهب أيها الشيطان! إنى لا زلت أذكر جهودك حق الذكر.

لقد نقلت زوجى هنرى فى البرج

وولدى إدورد المسكين "توكسبرى"

دوق جلوستر

: لقد كنت - قبل أن تصبحى ملكة بل قبل أن يصبح زوجك ملكاً -

مطية له في جليل شؤونه،

أحصد أعداءه الأقوياء حصداً

وأكافئ بسخاء أصدقاءه.

ولقد أرقّت دمي لأجعل من دمه دمًا ملكيًا.

الملكة مرجريت : أجل، وأرقّت دمًا أزكى كثيرًا من دمه ودمك!

١٢٥ دوق جلوستر : بينما كنت طوال ذلك الوقت أنت وزوجك جرى

نصيرين لبيت لانكستر.

وكذلك وكنت يا يفرز، ألم يقتل زوجك

في معركة مرجريت في سانت أولبن؟

دعيني أذكرك - إن كنت قد نسيت -

بما كنت من قبل وأنا وما أنا على الآن.

الملكة مرجريت : كنت وغداً قاتلاً وما زلت كذلك!

دوق جلوستر : لقد خذل كلارنس المسكين أباه^(١) وريك

أجل وحنث بقسمه، غفر الله له!

١٣٥ الملكة : أخذه الله بحنثه!

مرجريت

دوق جلوستر : ليقا تل إلى جانب إدورد في سبيل التاج

وكان حصاد هذا اللورد المسكين من ذلك أن حصده هو نفسه

وددت لو جعل الله لي قلباً كقلب إدورد، قد من صخر،

أو لو جعل قلب إدورد رقيقاً رحيماً كقلبي

(١) أبو زوجه.

إننى ساذج كالطفل لا أصلح لهذه الحياة.

الملكة مرجريت : إلى الجحيم بعارك إذن واطرك هذه الحياة؛
فهناك دولتك أيها الشيطان الرجيم!

لورد ريفرز : يا سيدى اللورد جلوستر، لقد كنا فى تلك الأيام الصاخبة.
التي تذكرنا الآن بها لتبرهن على أننا من الأعداء،
نتبع سيدنا وملكنا الشرعى. ١٤٥

وكذلك سنتبعك إن أصبحت ملكًا علينا.

دوق جلوستر : أن أصبحت ملكًا عليكم! إنى لأوثر أن أكون بائعًا جوالاً.
إن التفكير فى ذلك لأبعد ما يكون عن نفسى.

الملكة إلزابث : إن كنت ترى أيها السيد أنك لن تظفر بقليل من السعادة
١٥٠
إن أصبحت ملكًا على هذه البلاد،
فخليق بك أن ترى ضالة سعادتى
وأنا ملكة عليها.

الملكة مرجريت : إن حظ ملكة هذه البلاد من السعادة حظ ضئيل،
فإننى أنا هى - بئسة كل البيوس.

١٥٥
إنى لم أعد أطيق صبراً.

(تتقدم نحوهم)

استمعوا إلى أيها القرصان المختصمون،

يا من تختلفون حول اقتسام ما اغتصبتموه منى!

من منكم لا يرتجف حين ينظر إلى؟

إن كنتم لا تتحنون كالرعية لأنى لم اعد ملكة،

فإنكم مع ذلك ترتعدون كالمارقين لأنكم خلعتمنى! ١٦٠

أيها الوغد الرعديد، لا تشح بوجهك عني.

دوق جلوستر : أيتها العجوز الدنسة المغضنة الأسارير، ما الذي جاء بك إلى هنا؟

الملكة مرجريت : لا شيء، إلا لأحصى ما اقترفت من آثام
وبعدها أدعك لشأنك.

١٦٥ دوق جلوستر : ألم يحكم عليك بالنفى وإن عدت كان جزاؤك الموت؟

الملكة إلزا بث : بلى، لكنى أجد فى النفى ألماً
لا أجده فى موتى بالبقاء هنا.

إنك مدين لى زوج وابن. وأنت بمملكة!
أيها الحلفاء جميعاً.

١٧٠ إن ما أعانيه من شقاء لهو من نصيكم. حقاً وعدلاً،
أما جميع ما تتعمون به من مسرات فهو من حقى.

دوق جلوستر : تلك هى اللعنة التى استنزله عليك أبى النبيل
حينما توجت جبينه الباسل بالورق،
وأسلت الدموع أنهاراً من عينه بإهاناتك،
ثم أعطيته - لكى يجففهما - منديلاً.

١٧٥ قد غمس فى الدم الطاهر الذى فاض من روتلاند الجميل.
إنها لعناته كلها قد حققت عليك، لعناته التى استنزله.
عليك بكل ما فى روحه من مرارة.

إن الله هو الذى اقتص من فعلتك الدموية لا نحن.

١٨٠ الملكة إلزابث : ما أحكم عدالة السماء فقد انتقمت للأبرياء.

هيستجز : أى والله، لقد كان قتل ذلك الطفل.

عملاً دنساً لم يسمع بمثله من قبل،

بل لقد كان أفضع ما سمعنا به من فعال!

ريفرز : لقد بكى الطغاة أنفسهم حين سمعوا به.

١٨٥ دورست : ما من أحد إلا تتبأ بالقصاص له.

بكنجهام : لقد بكى "نورثمبرلاند" وكان حاضراً - حين شهده

الملكة مرجريت : عجباً! ابعد أن كان كل منكم قبل مقدمي

يكشر عن نابه لأخيه متحفظاً لينقض على عنقه.

تتحولون بكل بغضائكم إلى؟

١٩٠ هل استجابت السماء كل هذه الاستجابة للجنة يورك المروعة،

حتى تكفر عن مقتل ذلك الصبي التافه بموت هنري

وموت إدورد الحبيب

وضياع ملكهما ونفي المؤلم،

أو تستطيع اللغات أن تخترق السحب وتنفذ إلى السماء؟

١٩٥ إذن فأفسحى الطريق أيتها السحب الكئيبة للعنانى المضطربة!

فليمت ملكك بالتخمة ^(١) إذا لم يمت بالحرب، كما مات ملكنا غيلة

لكى يصير هو ملكاً وليمت ابنك إدورد، الذى هو الآن أمير ويلز،

قصاصاً لابنى الذى كان أمير يلز.

٢٠٠ وليمت فى صباه نكراء مبكرة كما مات ولدى.

وليقتص منك، أنت الملكة، لى أنا التى كانت ملكة

فتعيشى بعد أن يموت مجدك مثلى أنا البائسة!

ويمتد بك الأجل لتبكى فقد أبنائك،

(١) إشارة إلى ما عرف عن إدورد الرابع من نهم.

وترى، كما أرى أنا الان

امرأة أخرى تستمع بحقوقك كما تستمتعين الآن بحقوقى!

ولتمت سعادتك قبل موتك بزمان مديد،

وبعد دهر طويل من الأسى.

فلتموتى غير أم وزلا زوجة ولا ملكة لإنجلترا!

أى ريفرز ودورست، وأنت يا لورد هيسنتجز،

لقد كنتم شهودا

حين طعنت الخناجر الدامية ولدى.

فالله أدعو ألا يعيش أحدكم أيامه كاملة،

بل تنتقص عمره فجاءت الحوادث.

دوق جلوستر : أفرغت من تعاويذك أيتها الحيزيون الذاوية البغيضة؟

٢١٥ الملكة مرجريت : أو أعفيك من اللعنة؟ أنتظر أيها الكلب لتسمع ما أقول:

إن كانت السماء تدخر من نكباتها الأليمة ما يفوق ما أتمناه لك،

فلنحتفظ بها حتى تتضج آثامك

ثم لتقذف حينئذ بسخطها عليك

يا من يعكر صفو هذه الحياة البائسة.

ولتدأب وخزات الضمير على الحز فى نفسك!

ولتظن بأصدقائك الخيانة فى حياتك،

ولتتخذ أعز خلانك من الخونة العريقين،

وليحف النوم عن عينيك البشعتين،

إلا حين يروعك حلم مخيف بجحيم من الأبالسة الشوه.

أنت أيها المسيح المشؤم، أيها الخنزير النهم،

يا من كنت عليه منذ مولده

أن يكون وضع الخلق شريراً.

من أبناء الجحيم، وخزيا لرحم أمه الحزين.

أيها النسل الذى يزدرية صلب أبيه،

يا خرقة الشرف الباليه، أيها البغيض الممقوت!

٢٣٠

دوق جلوستر : مرجريت!

الملكة مرجريت : رتشارد!

دوق جلوستر : لبيك!

الملكة مرجريت : لست أدعوك

دوق جلوستر : معذرة، فقد حسبت إنك دعوتني بكل تلك الأسماء المريرة!

الملكة مرجريت : أجل لقد دعوتك، ولكنى لم أنتظر منك جواباً

فلتدعنى أختم لعنتي!

٢٣٥

دوق جلوستر : لقد ختمتها أنا بقولى: مرجريت.

الملكة إلزابث : وهكذا استنزلت لعنتك على نفسك.

الملكة مرجريت : أيتها الملكة الزائفة، يا مظهر فارغاً لما كان عليه مجدى،

لماذا تنتثرين شهدك على هذا العنكبوت المتضخم بالسم

هذا الذى يلفك بشباكه القاتلة؟

٢٤٠

حمقاء، حمقاء! إنك تشحذين سكيناً تقتلين بها نفسك،

وسياتى يوم تسألينى فيه أن أستنزل معك اللعنات

على تلك الضفدعة السامة الحدياء.

هيتجز : أيتها العرافة الكاذبة: كفى عن لعناتك المحمومة،

٢٤٥

والا ضاق بك صبرنا فأذيناك.

الملكة مرجريت

: خزيا لك! لقد ضاق بك صبرى.

ريفرز

: لو كنت قد عوملت بما تستحقين لتعلمت الأدب.

الملكة مرجريت

: لو عوملت بما استحق لأبديتم نحوى ما يجب من أدب.

ولاعتبرتمونى ملكتكم واعتبرتم أنفسكم رعاياى.

٢٥٠

ألا فلتعاملونى بما أستحق، ولتعرفوا واجبكم!

دورست

: لا تجادلوها فإنها مخبولة،

الملكة مرجريت

: رويدك أيها السيد المركيز لا تكن وقحاً

إن الناس لم يكادوا يألّفون لقبك هذا الجديد.

وددت لو استطعت أيها النبيل المحدث

٢٥٥

أن تقدر كيف يكون حزنك لو فقدته!

إن من يقفون على القمة يتعرضون لكثير من العواصف

التي تهزمهم، فإذا ما سقطوا تمزقوا إرباً!

دوق جلوستر

: تلك حكمة جميلة والله - فاحفظها - احفظها أيها المركيز.

دورست

: انها تمسك يا سيدى بقدر ما تمسنى

٢٦٠ دوق جلوستر أجمل وأكثر مما تمسك. ولكنى أقف على القمة منذ مولدى،

فعشنا العالى قد بنى على قمة شجر الأرز،

يعبث بالريح ويستخف بالشمس،

الملكة مرجريت

: ويحيل نور الشمس إلى ظلام،

وا حسرتاه، وا حسرتاه

٢٦٥

إن شمس ابنى الآن فى ظلام الموت!

بعد أن أطوى الحقد أشعتها المنتشرة المشرقة فى ظلام أبدى.

إن عشمك العالى يقوم مكان عشنا العالى.

رب إنك تراه، فلا تغفل عنه نقمئك،

وكما كسبوه بالدماء، فليبقوه بالدماء!

٢٧٠ جلوستر : حسبك، حسبك! إن لم يكن رحمة بى فخزى منك.

الملكة مرجريت : لا تحننى على رحمة أو خزى،

فقد عاملتنى بغير رحمة،

واغتلت آمالى بك خزى،

حتى أصبحت رحمتى غضباً وحياتى خزياً،

٢٧٥ وفى ذلك الخزى ما زالت سورة حزنى تعيش!

بكنجهام : كفى.. كفى!

الملكة مرجريت : أى أميرى بكنجهام، سأقبل يدك،

ليكون ذلك شاهداً على ولائى وصادقتى لك:

فلتكتب السعادة لك وليبتك النبيل،

٢٨٠ فإن ثيابك لم تلطخ بدمائنا،

ولعنتى لم تشملك.

بكنجهام : ولا شملت أحداً من الحاضرين، فإن اللعنات لا تمضى أبداً.

إلى أبعد من شفاه من ينفثونها فى الهواء.

الملكة مرجريت : لست أومن إلا بأنها تصعد إلى السماء

٢٨٥ فتعكر صفو أمنها وسلامها.

(بينها وبينه)

أى بكنجهام حذار من ذلك الكلب! حذار

فإنه بعض حين يتملق، وحين بعض
يخلف نابه المسموم فرحة قاتلة.
اقطع صلتك به، حذار منه،

٢٩٠
فقد تركت الخطيئة والموت والجحيم سماتها عليه
وقامت على خدمته كل شياطينها.

دوق جلوستر : ماذا تقول يا سيدى اللورد بكنجهام؟

بكنجهام : لا شيء ذا بال يا سيدى الكريم.

الملكة مرجريت : ماذا! أتستخف بى لما أسديت غليك من نصح رقيق؟

وتتملق ذلك الشيطان الذى حذرتك منه ؟

إن فاذكر ذلك حين يجيء يوم

٢٩٥
ينفطر فيه قلبك من الأسى؛

وإذ ذاك ستقول إن مرجريت المسكينة قد كشفت عنها الحجاب
فليعيش كل منكم مطية لبغضائه، وليعيش هو هداً لبغضائكم.

٣٠٠
ولتعيشوا جميعاً وقد حلت بكم بغضاء الله.

(تخرج)

هيستجز : إن شعرى ليقف من سماع لعناتها.

ريفرز : وكذلك يقف شعرى - إنى لأعجب لماذا يتركونها

طليقة.

دوق جلوستر : لست أستطيع أن ألومها، فبحق العذراء

لقد قاست من الظلم أكثر مما ينبغى،

٣٠٥
وإنى لأشعر بالندم لما شاركت فى هذا الظلم.

الملكة إلزابث

: لست أعرف أنى ظلمتها قط.

دوق جلوستر

: ولكنك تنعمين بعاقبة ما نالها من ظلم.

لقد أخذتني الحمية فى خدمة أحد الناس،

ولكنه الآن يذكر خدماتى فى فتور.

٣١٠

أما عن كلارنس فبحق العذراء لقد جوزى خير الجزاء.

وها هو ذا يسمن للذبح تقديراً لجهده!

غفر الله لمن كانوا سبب سبب سبب

ريفرز

: تلك خاتمة طيبة ثلاثم شرائع المسيحية،

أن نسأل الغفران لمن آذانا.

٣١٥ دوق جلوستر

: إنه لأمر طبيعى (بينه وبين نفسه) وهو عين العقل،

فلو استنزلت اللعنة لكنت قد استنزلتها على نفسى

(يدخل كاتسبى)

كاتسبى

: مولاتى، إن الملك يدعوك

ويدعو فخامتك - ويدعوكم يا سادتى اللوردات.

الملكة إلزابث

: أى كاتسبى، سأتى، هلا أتيتم معى أيتها السدة.

٣٢٠ ريفرز

: سنصحبك يا سيدتى

(يخرجون جميعاً ما عدا جلوستر)

دوق جلوستر

: إنى أقترف الإثم وأبدأ بالشكوى،

وأتهم الآخرين بأشنع ما دبرت من شرور.

فهانذا أبكى لمصير كلارنس.

الذى رميته رمياً فى ظلمات السجن.

أمام هؤلاء السذج المخدوعين

هيستنجز، ودري، ويكنجهام،

وأزعم أن الملكة وشيعتها

هم الذين أثاروا الملك على أخى الدوق،

وها هم أولاء قد صدقوا قولى فهم يحملوننى

على أن أنتقم من ريفرز وفوجان وجرى،

ولكنى أتحسر وأسوق لهم نصا من الإنجيل

بأن الله يوصينا بأن نجزى بالشر خيراً.

وهكذا استر شرى المفصوح

بخرق أسرقها من الكتاب المقدس،

فأبدوا كالقديس وأنا أمضى فى تمثيل دور الشيطان!

(يدخل قاتلان)

ولكن مهلاً ها هما ذان القاتلان.

أى صديقى القويين الجريئين المصممين

أذاهبان أنتما لأداء تلك المهمة؟

القاتل الأول

: نعم يا مولاي - وقد جئنا لناخذ الإذن

بالدخول إلى حيث يقيم.

دوق جلوستر

: أحسنتما التدبير - إنه معى هنا

عندما تفرغان اذهبا إلى قصر "كروسبى"

(يعطيه الإذن)

ولكن عليكما أن تعجلا بقتله أيها السيدان،

وأن تكونا مصممين فلا تستمعا إلى توسلاته.

فإن كلارنس بارع الحديث، وربما استطاع

أن يعطف قلبيكما إن أنتما استمعتما إلى حديثه.

القاتل الأول

: هه! اطمئن يا سيدى فلن نستمع إلى هرائه

إن أصحاب الكلام لا يحسنون العمل،

وثق أننا جننا لنستخدم أيدينا لا لسانينا

٣٥٠ دوق جلوستر : إن عيونكما لا تذرف إلا الصخر حين تذرف عيون الحمقى دموعًا.

إنى معجب بكما أيها الفتیان فامضيا إلى عملكم

ولا تلويان على شيء

أذهباً، أذهباً - وعجلاً.

القاتل الأول

: سنذهب يا سيدى.

(يخرجان)

الفصل الأول

المنظر الرابع

لندن. البرج

(يدخل كلارنس وبراكنبرى)

براكنبرى : لم تبدو اليوم يا صاحب العظمة، مكتئب النفس كل هذا الاكتئاب؟

كلارنس : آه! لقد قضيت ليلة نكراء

ملينة بالمشاهد المخيفة والأحلام والمروعة؛

حتى لقد وددت، وأن المسيحى النقى،

ألا اقضى ليلة مثلها،

٥

ولو اشتريت به دنيا من الأيام السعيدة.

ما كان أهولها من ليلة مفزعة!

براكنبرى : ماذا رأيت، يا صاحب العظمة، فى حلمك؟

أرجو أن تقصه على.

كلارنس : خيل إلى أنى قد هربت من البرج

وركبت سفينة لأعبر إلى برجندي،

١٠

وكان بصحبتى أخى جلوستر،

فأغراني أن أخرج من غرفتى وأسير على ظهر السفينة،

وهنا اتجهنا بأبصارنا إلى إنجلترا،

ورحنا نتذكر آلافاً من اللحظات المروعة التى مرت

بنا أثناء الحرب بين بيتى يوريك ولانكستر

١٥

وبينما كنا نسير على ظهر السفينة المترنح

خيل إلى أن جلوستر قد عثر فدفعني في سقته
وأنا أحاول أن أقيه من عثرته -

بعيداً عن السفينة إلى أمواج البحر الصاخبة

رياه، رياه! ما أفضع أن يموت المرء غريقاً

٢٠

وكم كان صوت الماء في أذني مخيفاً!

وكم رأيت عيناى من مشاهد الموت المنكرة!

لقد خيل إلى أنى أنظر إلى حطام ألف سفينة

تروع النظر؛

والى ألف رجل تنهش الأسماك لحومهم؛

ورأيت قضباً من الذهب، ومراسى ضخمة،

٢٥

وأكواماً من اللؤلؤ،

وأحجاراً كريمة، وجواهر لا تقدر بثمن،

كلها قد انتثرت في قاع البحر:

وقد استقر بعضها في جماجم الموتى.

والى تلك الحفر التى كانت من قبل مقراً للعيون،

زحفت جواهر متألقة كأنما تسخر من تلك العيون،

٣٠

وتتطلع كالمحب الولهان إلى قاع البحر اللزج،

وتهزأ بعظام الموتى المبعثرة من حلوها.

: أو كان لديك متسع من الوقت ساعة الموت

براكنبرى

لنتعم النظر إلى خفايا البحر؟

: لقد خيل على ذلك وكم حاولت

٣٥ كلارنس

أن ألفظ الروح، ولكن العباب الحقود،

كان يبقئها، ويمنعها من الانطلاق،

لتلتمس الهواء الخالى، المنفسح، الهائم؛

وكان يخنقها فى صدرى اللاهث

الذى أوشك أن ينفجر ويقذف بها إلى البحر،

٤٠

: الم يوقظك هذا العذاب الأليم؟

براكنبرى

: أوه! كلا فقد طال حلمى بعد أن غادرت الحياة:

كلارنس

وخيل إلى أن العاصفة بدأت تجتاح روحى،

التي دفعها ذلك التيار الكثيب،

لتعبر مع أولئك الملاحين، ذوى الوجوه العابسة،

٤٥

إلى دولة الظلام الأبدى، التي يصفها الشعراء.

وكان أول من لقي روحى الغريب هناك

هو جماى العظيم وريك الشهير

وعندها صاح: "أى قصاص ذلك

الذى ادخرته دولة الظلام هذه لكلارنس الخائن

٥٠

جزاء خيانتته.

ثم اختفى، وعندئذ طاف بى

خيال كالملك أشقر الشعر.

ملطخ بالدماء، وصاح فى صوت حاد:

"لقد جاء كلارنس، كلارنس المخادع؛

المتقلب، الحانث،

ذلك الذى طعننى فى المعركة بالقرب من "توكسبرى"

٥٥

خذيهِ أى آلهة الانتقام، وأذيقهِ العذاب!"

وخيل إلى بعد قوله أن طائفة من الأبالسة الخبيثة
قد أحاطت بى، وأخذت تعوى فى أذنى بصيحات
بغيضة هزنتى كل صيحة منها حتى صحت،

ولبثت بعدها وقتاً طويلاً

٦٠

أعتقد أنى لا زلت فى الجحيم؛

هكذا كان أثر ذلك الحلم المفزع!

: لا عجب، يا سيدى اللورد، إن كان قد أفزعك

براكنبرى

فإنى أظن أنى افزع لسماعك وأنت تقصه على

: أى براكنبرى - لقد أتيت هذه الفعال

٦٥ كلارنس

التي تدين الآن روحى

من أجل إدورد فانظر كيف يجزىنى!

رباه، إن لم تستطع صولاتى الحارة أن تمحو غضبك،

وإن كنت قد شئت أن تقتص منى لما اقترفت من آثام،

فأنزل غضبك على وحدى وابق على زوجى البريئة

وأطفاالى المساكين!-

٧٠

أيها الحارس الرحيم، سألتك أن تبقى معى؛

إن روحى مثقلة؛ وأشتهى أن أنام.

: سأفعل يا سيدى اللورد: وهب الله عظمتك راحة طيبة!

براكنبرى

(ينام كلارنس)

إن الهم يقلب الأوقات ويقض ساعات الراحة،

ويحيل الليل صباحاً، والظهيرة ليلاً.

٧٥

وليس يملك الأمراء من مجد إلا ألقابهم،

وليس لهم لقاء ما يجدون فى نفوسهم من شقاء؛

إلا مظاهر الشرف، وهم فى سعيهم

وراء السعادة، التى لا ينعمون بها،

لا يلقون، فى كثير من الأحوال، إلا حشدًا

من الهموم المضنية:

٨٠

فهم بألقابهم لا يفترقون عن العامة،

إلا بمالهم من مظاهر المجد (يدخل القاتلان)

القاتل الأول : عجبًا! من هناك؟

براكنبرى : من أنت بالله. وكيف جئت إلى هنا؟

٨٥ القاتل الأول : أريد أن أتحدث إلى كلارنس،

وقد جئت إلى هنا على قدمي!

براكنبرى : أو تتحدث بكل هذا الإيجاز؟

القاتل الثانى : خير للمرء يا سيدى أن يكون موجزًا أن يكون مملاً

أره إذننا. ولا تتكلم بأكثر من هذا.

(يقرأه براكنبرى)

٩٠ براكنبرى : إن هذا الإذن يأمرنى،

أن أسلم إليكم دوق كلارنس،

ولن أناقش غاية هذا الأمر

لأنى لا أحب أن تكون لى يد فيه.

ها كما المفاتيح، وها هو ذا الدوق نائم هناك.

أما أنا فساذهب إلى الملك،

٩٥

فأنبئه بأنى أسلمت سجينى إليكما.

القاتل الأول : من الحكمة أن تفعل يا سيدى،

ومع السلامة. (يخرج براكنبرى)

القاتل الثانى : ماذا! أأطعنه وهو نائم!

١٠٠ القاتل الأول : لا - فإنه سيرميننا حينئذ بالجبن

حين يصحو.

القاتل الثانى : حين يصحوا! إنه لن يصحو

إلا يوم الحساب.

القاتل الأول : ويحك سيقول يوم الحساب إننا طعناه وهو نائم.

١٠٥ القاتل الثانى : إن كلمة "الحساب" قد أثارت فى نفسى شيئاً من تأنيب الضمير.

القاتل الأول : ماذا! أتخاف؟

القاتل الثانى : لست أخاف قتله ومعى إذن به.

ولكنى أخاف أن اذهب إلى الجحيم من أجله،

وهناك لن يحمينى منها أى إذن.

١١٠ القاتل الأول : حسبتك قوى العزم!

القاتل الثانى : نعم، إنى لقوى العزم إن أبقيت على حياته.

القاتل الأول : إذن أعود إلى دوق جلوستر.

وأقول هذا له.

القاتل الثانى : سألتك أن تنتظر لحظة:

١١٥ فإن لآمل أن تذهب عنى هذه النزوة الحارة

لقد اعتدت ألا يسيطر على هذا الشعور

إلا بمقدار ما أعد إلى عشرين.

القاتل الأول : كيف تجدك الآن؟

القاتل الثانى : عجبًا! ما زلت أحس فى نفسى

ببعض بقايا الضمير ١٢٠

القاتل الأول : تذكر مكافأتنا بعد أن نفرغ من مهمتنا.

القاتل الثانى : ليموتن والله! لقد نسيت المكافأة.

القاتل الأول : وأين ضميرك الآن؟

القاتل الثانى : عجبًا، إنه فى كيس دوق جلوستر!

١٢٥ القاتل الأول : إذن فسيطر حين يفتح الدوق كيسه
ليعطينا المكافأة.

القاتل الثانى : لا ضمير، دعه يذهب،

فلن يأبه له إلا القليلون

بل وقل إنه لن يأبه له أحد

١٣٠ القاتل الأول : وكيف إذا عاودك مرة أخرى؟

القاتل الثانى : لن يكون لى به شأن.

فهو يحيل المرء إلى مخلوق جبان.

إن أراد أن يسرق أنبه، وإن أراد أن يسب منعه،

إن أراد أن يأثم مع زوج جاره فضحه.

١٣٥ إنه روح حى خجول

يتمرد فى صدر المرء ويزحم طريقه بالعقبات.

لقد جعلنى مرة أرد كيسًا من الذهب

عثرت عليه مصادفة. إنه يفقر كل من يرهاه.

إن أهل المدن والبلدان يطردونه ويعدونه شيئاً خطيراً،

وكل من يطمع فى أن يحيا حياة رغبة

١٤٠

يحاول دائماً أن يعيش من دونه،

ولا يستمع إلا إلى صوت هاه وحده

القاتل الأول : إنه فى هذه اللحظة بجانبى يحاول أن يثينى عن قتل الدوق.

القاتل الثانى : فكر فى الشيطان ولا تصدقه،

١٤٥ فإن يتقرب إليك ثم يورثك الندم.

القاتل الأول : إنى رجل قوى،

وأؤكد لك أنه لن يستطيع أن يغلبنى

القاتل الثانى : هذا حديث رجل شجاع

حريص على سمعته.

١٥٠ هيا بنا، هلا فرغنا لذلك العمل؟

القاتل الأول : اضربه على رأسه بمقبض سيفك،

ثم ألق به فى برميل النبيذ

فى الغرفة المجاورة.

القاتل الثانى : لنعم الرأى! ولننقعه ليصبح "نبيذ النبيذ"

١٥٥ القاتل الأول : رفقاً! فإنه يستيقظ!

القاتل الثانى : فلنضرب!

القاتل الأول : كلا فنتداول معه أولاً.

كلارنس : أين أنت ايها الحارس؟

أنى كأساً من النبيذ.

١٦٠ القاتل الثانى : ستشرب بعد لحظة قصيرة كفايتك من النبيذ

يا سيدى اللورد

كلارنس : من أنت بالله؟

القاتل الثانى : رجل مثلك.

كلارنس : ولكنك لست مثلى من دم ملكى خالص.

القاتل الثانى : وكذلك لست أنت مثلنا؛ غاية فى الإخلاص.

١٦٥ كلارنس : إن صوتك كالرعد وإن كنت وضيعاً فى هيئتك.

القاتل الثانى : إن صوتى الآن لهو صوت الملك. أما هيئتى
فهى هيئتى أنا.

كلارنس : يا لحديثك إنه ليشيع فيه الموت والظلام!

إن عينيك تتوعدانى. لم تبدو هكذا شاحباً؟
ومن أرسلك إلى هنا؟ ولم جئت؟

١٧٠ الاثنان : لكى - لكى...

كلارنس : لكى تقتلانى؟

الاثنان : أجل - أجل.

كلارنس : إنكما لم تجدا فى قلبكما الشجاعة لتخبرانى إلا بشق الأنفس.

وهكذا لن تجد الشجاعة لتقتلانى.

١٧٥ : بم أسأت إليكما أيها الصديقان؟

القاتل الأول : لم تسيء إلينا، بل إلى الملك.

كلارنس : سيصلح الأمر بينى وبينه ثانية.

القاتل الثانى

: أبداً يا سيدى فتهياً للموت.

كلارنس

: أو قد أنتجتما من بين الرجال جميعاً.

١٨٠

لنتقتلا الأبرياء؟ ماذا جنيت؟

وأين الدليل على جنايتى؟

ومن هم أولئك المحلفون الذين أعلنوا قرارهم

إلى القاضى العبوس؟

أو من هو ذلكما الذى أصدر هذا الحكم المريع

١٨٥

بموت كلارنس المسكين؟

إن تهديدكما إياى بالموت قبل أن يديننى القانون

أمر لا يبيحه القانون أبداً. لذلك أطلب إليكما

بحق دم المسيح الغالى الذى أريق فى سبيل

خطايانا الجسيمة، إن كنتما تطمعان فى مغفرة الله

١٩٠

أن تذهبا ولا تمدا إلى يدا بشر!

فإن العمل الذى تكلفتما به ملعون من الله.

القاتل الأول

: إنا سنفعله لأننا أمرنا به.

القاتل الثانى

: والذى أمرنا هو ملكنا.

كلارنس

: أيها الرجلان الحقيران الخاطئان! إن ملك الملوك الأكبر

١٩٥

قد أمر، فى لوح شريعته،

ألا ترتكبا جريمة القتل.

أتريدان إذن أن تزديرا أمره وتطيعا أمر إنسان؟

حذار فإن الانتقام فى يديه

يصبه على رؤوس من يخالفون شريعته.

٢٠٠ القاتل الثانى : وسيصّب عليك هذا الانتقام نفسه

لحنّك بعهدك ولما اقترفت أنت من جرائم قتل كذلك.

لقد أقسمت قسمًا مقدسًا

أن تقاثل فى سبيل بيت "لانكستر"

القاتل الأول : وقد حنّث بقسمك وحنّث أمانة الله،

٢٠٥ ومزقت بسيفك الخائن

أحشاء ابن ملكك.

القاتل الثانى : الذى أقسمت أن تحبه وتحميه

القاتل الأول : فكيف تتوعدنا بشريعة الله الصارمة.

وقد عصيتها على هذا النحو الأثيم؟

٢١٠ كلارنس : وا حسرتا! فى سبيل من اقترفت ذلك الإثم؟

فى سبيل إدورد أخى ومن أجله هو.

فيكيف يمكن أيها السيدان أن يكون قد أرسلكما لقتلى؛

ونصيبه فى ذلك الإثم لا يقل عن نصيبى؟

ألا فاعلما أن الله، إن كان سينتقم لتلك الفعلة.

٢١٥ فهو سيقتم جهراً.

فدعا الأمر فى يده الجبارة،

فليس به من حاجة إلى تلك الطرق الملتوية،

أو تلك السبل غير المشروعة،

ليقضى على من أثار غضبه.

٢٢٠ القاتل الأول : فمن أباح لك إذن أن تكون رسول الموت.

حين أصبت بطعنك القائلة "بلانتاجنت"

ذلك الأمير الصغير الشجاع والفارس الفتى فى جماله المتفتح؟

- كلارنس : حبى لأخى، والشيطان، وسورة الغضب.
- القاتل الأول : وكذلك جاء بنا لنقتلك.
- ٢٢٥ : حبنا لأخيك وواجبنا، وخطيئتك.
- كلارنس : إن كنتما تحبان أخى فما ينبغى لكما أن تبغضان:
- فإن أخوه الذى يخلص له الحب إخلاصًا.
- وإن كنتما قد استؤجرتما بمال فارجعا،
- سأرسل إلى أخى جلوستر ليجزيكما عن حياتى
- خيرًا مما كان سيجزيكما إدورد عن موتى
- ٢٣٠ : أنت مخدوع، فإن أخاك جلوستر يضمرك لك الكره.
- كلارنس : آه! كلا - إنه يحبنى ويخلص لى الود.
- اذهبا من عندى إليه
- القاتلان : كذلك سنفعل.
- كلارنس : وقولا له إن أبانا الأمير يورك
- ٢٣٥ : حين بارك أبناءه الثلاثة بيده الظافرة،
- وسألنا، من أعماق قلبه أن يحب بعضنا بعضًا،
- لم يدر بخلده أن سيكون بيننا هذا الخلاف والجفاء.
- ذكرا جلوستر بهذا فسيذرف الدمع.
- القاتل الأول : بل سيذرف "الصخر" كما أمرنا أن نذرفه بدل الدمع.
- ٢٤٠ كلارنس : آه، لا نتحدثا بسوء عنه فإنه عطوف رحيم.
- القاتل الأول : رحيم كرحمة الثلج إذ يسقط أيام الحصاد.

دع ما أنت فيه، فإنك تخذع نفسك.

ذلك هو الذى أرسلنا إلى هنا لنقتلك.

كلارنس : مستحيل! لقد أخذنى بين ذراعيه ساعة اقتربنا

٢٤٥ وأقسم وهو ينتحب.

أن يبذل كل جهد ليخلصنى.

القاتل الثانى : أجل-فهذا هو ما يفعله حين يخلصك

من رق الحياة فتتطلق إل سعادة السماء.

القاتل الأول : صل لربك فإنك لا محالة ميت، يا سيدى اللورد.

٢٥٠ كلارنس : أنتشعران هكذا بالتقوى.

وتتصحانى بأن أصلى لربى.

ثم تغفلان عن نفسيكما.

وتنسيان أنكما تخاصمان الله بقتلكما إياى؟

أيها السيدان تدبرا أمركما

٢٥٥ فإن من أمركما باقتراف هذه الفعلة سيغضبكما من أجلها.

القاتل الثانى : وماذا نفعل؟

كلارنس : كونا رحيمين تستنقذا نفسيكما من الضلال.

القاتل الأول : نرحم! كلا، إن هذا شأن الجبناء أو النساء.

كلارنس : وألا ترحما شأن الوحوش والضواري والشياطين

فمن منكما لو قدر له أن يكون ابن أمير،

٢٦٠ محجوراً على حريتهن كما هو شأنى الآن،

ثم يأتيه قاتلان مثلكما،

لا يتوسل استنقاذاً لحياته؟ إني لحرى فى هذه الحال
أن أتوسل؛ كما أنكما حريان أن تتوسلا،
لو وقعتم فيما أنا فيه من شدة.

(يخاطب القاتل الثانى)

٢٦٥

أى صديقى، إنى ألمح فى نظراتك بعض الرحمة
إن لم تكذبنى عيناك. فتعال إلى جانبى وتوسل من أجلي.
ألا يثير أمير فى ذلك السؤال، رحمة السائلين؟

القاتل الثانى

: انظر وراءك يا سيدى اللورد!

(يطعنه)

القاتل الثانى

: خذ هذه وتلك (يطعنه) فإن لم تكفيا.

٢٧٠

فسأغرقك فى برميل النبيذ الذى هناك.
(يجر الجثمان إلى الخارج).

القاتل الثانى

: يا لها من قتلة منكرة ارتكبتها بشناعة!

وددت لو غسلت يدي - مثلما فعل "بيلاطس" ^(١)

من تلك الجريمة البشعة النكراء!

(يعود القاتل الأول)

القاتل الأول

: عجبى لك! خبرنى، كيف لم تعنى؟

٢٧٥

والله ليعرفن الدوق بتقصيرك!

القاتل الثانى

: وددت لو قد عرف أنى أنقذت أخاه!

(١) بيلاطى (Pilate) حاكم فلسطين الرومانى أيام المسيح، وقد عرف بالقسوة والطغيان، وهناك أسطورة تقول إنه دفن فى بحيرة من بحيرات الألب، وإن الشيطان يخرج من جثمانه، مرة كل عام، حين تحل ذكرى صلب المسيح، فيجلسه ويغسل يديه تكفيراً عن مشاركته فى ذلك العمل.

خذا المكافأة أنت وانقل إليه،

أنى نادم على قتل الدوق.

(يخرج)

القاتل الأول

: أما أنا فلست كذلك - ذاهب أيها الجبان!

٢٨٠

والآن لابد لي أن أوارى جسده فى حفرة ما

حتى يأمر الدوق بدفنه؛

وسأرحل بعد أن اقبض أجرى،

فليس منذ الآن مقام فى هذا البلد، إذ لابد يوماً أن يذيع السر

(يخرج)

الفصل الثانى

المنظر الأول

لندن - القصر

(صوت أبواق - يدخل الملك إدورد المريض محمولاً على كرسى،

ومعه الملكة إليزابيث ودورست، وريفرز، وهيستنجز،

وبكنجهام، وجرای وآخرون

الملك إدورد : أما وقد أنجزت اليوم عملاً عظيماً،

فلتحافظوا، أيها النبلاء على هذه العورة الوثقى،

فإني أنتظر، من يوم إلى آخر، رسولاً من مخلصى،

لينقذنى من هذه الحياة.

والآن يستطيع روحى أن يصعد فى سلام إلى السماء،

ما دمت قد أقمت السلام بين أصدقائى فى الأرض.

أى هيستنجز، وريفرز، فليشد كل منكما على يد الآخر.

لا تداريا البغضاء بل أقسما مخلصين على المحبة.

ريفرز : تالله لقد برئ قلبى من كل حقد أو حسد.

١٠ وهأنذا أختم بيدي على ما بقلبي من ود صادق.

هيستنجز : وهأنذا أوثق عهدي مثله، وفقنى الله!

الملك إدورد : حذار أن يكون ذلك عبثاً منكما أمام ملككما؛

وإلا فضح ملك الملوك المتعالى

١٥ رياءكما الخبىء وكتب عليكم أن يهلك كلاكما صاحبه.

هيستنجز : ذاك عهدي على المودة الخالصة وفقنى الله!

ريفرز : وكذلك ليفوقنى ما أقمت على محبة هيستجز!

الملك إدورد : مولاتى، لست أستثنيك من هذا،

ولا ابنك دورست، ولا أستثنيك يا بكنجهام.

٢٠ لقد كنتم شيعًا متخاصمين

أى زوجى، اخلصى الود للورد هيستجز ودعيه يقبل يدك،

وليكن ذلك منك دون خديعة.

الملكة إلزابث : إليك هيستجز، ولن أذكر أبدًا بعد اليوم بغضائنا السابقة؛

كتب الله لى ولقومى التوفيق!

٢٥ الملك إدورد : دورست، عانقه. أى هيستجز، أخلص الود للمركيز.

دورست : أقسم أنى أنا لن أخون

هذا الود المشترك

هيستجز : وكذلك أقسم يا سيدى اللورد. (يتعانقان)

الملك إدورد : والآن أيها الأمير بكنجهام،

٣٠ فلتؤكد ولاءك بأن تعانق شيعه زوجى،

فتسعدنى باتحادكم.

بكنجهام (إلى : فليحل عقاب الله على

الملكة) إن حلمت لك أو لعشيرتك أى بغضاء

أو ألم ابذل لك هو لهم أصدق الود -

٣٥ أن أغدو بغيضًا إلى من هم أليق الناس بأن يحبونى.

فإذا ما كنت فى أشد الحاجة إلى معونة صديق

أثق أكبر الثقة ب صداقته

فليجعله الله

ماكراً مخادعاً حقوداً

إن فتر حبي لك ولعشيرتك (يتعانقان)

٤٠

: إن عهدك هذا، أيها الأمير بكنجهام،

الملك إدورد

قد كان مقويًا منعشًا لقلبي السقيم.

وليس بنقصان الآن، ليكمل هذا السلام،

إلا أخى جلوستر.

: ها هو ذا الدوق قد جاء فى اللحظة المناسبة.

٤٥ بكنجهام

(يدخل جلوستر)

: طاب صباح مليكى، وملكتى،

جلوستر

سعد وقتكم أيها السادة النبلاء!

: لقد كان يومًا سعيدًا حقًا،

الملك إدورد

فلعنا فيه، يا جلوستر، كثيرًا من الخير،

وخلفنا من الخصام صلحًا، ومن الكراهية حيًا،

٥٠

بين هؤلاء النبلاء الذين امتلأت نفوسهم بالغضب والشر

: ذلك جهد مشكور، أى مليكى الأجل!

جلوستر

أما أنا، فإن كان من بين هذه الجماعة من النبلاء

أو أى أحد من الحاضرين

من يرانى عدوًا

٥٥

لما بلغه عنى من أخبار كاذبة، أو ظنة من ظنون مخطئة،

أو كنت قد أسأت غير عامد أو فى سورة الغضب؛

إساءة يحملها لى أحد هنا من الحاضرين،

فإنى راغب إليه أن يصفح عما أتيت:

٦٠

فإنى أبغض العداة بغضى للموت!

وأرغب من الأخيار جميعًا كل حب.

وأبدأ فأرجوا منك الصلح يا مولاتى،

وسأشتريه بخدماتى المخلصة،

ومنك يا ابن العم النبيل بكنجهام

٦٥

إن كان بيننا شىء من الضغن،

ومنكما أى لورد ريفرز، ولورد جراى،

ومنكم جميعًا، يا من سخطوا على دون جريرة،

من الدوق والإيرل واللورد والسيد، منكم جميعًا.

فلست أعرف فى نفسى أدنى خصومة،

٧٠

بينى وبين أحد من أبناء هذا الوطن.

فما فى نفسى إلا براءة طفل ودل من يومه هذا،

وأحمد الله على ما وهبنى من تواضع!

الملكة إليزابث

: سيظل هذا اليوم على مر الزمن يومًا مقدسًا،

وإنى لأسأل الله أن تكون كل هذه الضغائن

قد انمحت إلى غير رجعة،

٧٥

وأتوسل إليك، يا صاحب الجلالة،

أن تصفح عن أخينا كلارنس.

جلوستر

: سيدتى، أو بذلت لكم حبى

لكى أهان على هذا النحو فى حضرة الملك؟

منذ الذى لا يعرف أن الدوق النبيل قد مات؟

(يفزعون جميعًا)

٨٠

إنك تسيئين إليه إذ تسخرين من جثمان.

ريفرز

: منذ الذى لا يعرف أنه مات! ومنذ الذى يعرف ذلك؟

الملكة إلزا بث

: يا علام الغيوب، أى عالم هذا؟

بكنجهام

: أيبدا على ما على الآخرين من شحوب أى لورد دورست؟

دورست

: أجل يا سيدى، وما من أحد هنا

٨٥

إلا غاض الدم من وجنتيه.

الملك إدورد

: أو مات كلارنس؟ لقد غير أمرى فيه.

جلوستر

: ولكن المسكين مات بأمرى الأول،

الذى حمله رسول مجنح، كمركور،

أما التغيير فحمله كسيح كسول،

٩٠

لم يصل إلا ليشهد دفنه.

وقد قضى الله أن أناسًا أقل نبلا وولاء،

أقرب إلى سفك الدماء، لا أقرب فى الدم

يستحقون ما لا يقل سوءًا عن مصير كلارنس،

ومع ذلك بقوا بمنأى عن الريبة.

(يدخل دربى)

٩٥ دربى

: مولاي! إنى أرجو منك صنيعة لقاء خدماتى.

الملك إدورد

: أرجو أن تدعنى لنفسى فإن روحى يفيض بالحزن.

دربى

: لن أنهض حتى تستمع إلى

الملك

: إذن فانطق فى الحال بما تريد.

دربى

: حياة خادمى يا مولاي،

١٠٠

إذ قتل اليوم رجلا شكسا

دخل ضمن أبتاع دوق نورفوك أخيراً

الملك إدورد

: أيقضى لسانى على أخى بالموت؛

ثم يعفو هذا اللسان نفسه عن عبد؟

إن أخى لم يقتل أحداً. كانت جريمته مجرد فكرة،

١٠٥

ومع ذلك كان الموت الزؤام عقوبته.

من منكم يشفع له عندى؟

من منكم ركع عند قدمى وأنا فى صورة غضبى،

وسألتنى أن أستمع إلى صوت العقل؟

من منكم تحدث عن الأخوة؟ من منكم تحدث عن الحب؟

من منكم قال لى إن المسكين قد خذل وريك

١١٠

العظيم وحارب من أجلى؟

من منكم ذكرين بما حدث فى معركة "توكسبرى"

حين طرحنى أكسفورد فأنقذنى،

وقال لى "فلتتش أيها الأخ العزيز ولتكن ملكاً!"

من منكم ذكرنى كيف دثرنى بملابسه،

حين رقد كلانا فى ساحة المعركة، ونحن على شوك الهلاك من

الصقيع

١١٥

وعرض نفسه - وهو عار إلا من أيسر الكساء -

لبرد الليل القارس؟

لقد نزع غضبى الوحشى الآثم

كل ذلك من ذاكرتى.

١٢٠

ولم أجد منكم واحداً من النخوة ما يذكرنى به
أما حين يرتكب مخمور، من خدمكم أو أتباعكم،
جريمة قتل يلطخ بها،
صورة مخلصنا العزيز الغالية،
فإنكم تركعون فى الحال طالبين العفو، العفو!

١٢٥

وعلى أن أمنحكم هذا العفو ولو خالفت بذلك العدالة.
أما من أجل أخى المسكين فما يتلكم أحد.
وما كلمت نفسى أنا، أنا ذلكم الشرير،
من أجله! إن أعزكم كبرياء
كان مديناً له فى حياته؛

٣٠

ومع ذلك فما من احد منكم تشفع له إبقاء على حياته.
رباه! أخشى أن تنالنى عدالتك،
بل أن تنالكم وتنال عشيرتى وعشيرتكم جزاء هذه الفعلة!
إلى يا هيستنجز وأعنى على بلوغ غرفتى. وا أسفاه
أى كلارنس المسكين!

جلوستر

: تلك ثمرة الاندفاع. ألم تلاحظوا

١٣٥

كيف بدا الشحوب على أقرباء الملكة الآثمين حين سمعوا بموت
كلارنس؟

طالما حرضوا الملك على ذلك،
ولكن الله سيثأر له. أما الآن فهيا بنا أيها السادة
لنسرى بصحبتنا عن إدورد

obeikandi.com

الفصل الثانى

المنظر الثانى

(القصر)

(تخل دوقه يورك العجوز مع طفلى كلارنس)

الصبى : أنبئنى يا جدتى الكريمة، هل مات أبونا؟

الدوقة لا يا ولدى

الصبية : لماذا إذن تستسلمين للبكاء كثيرًا، وتدقين صدرك

وتصيحين: "أى كلارنس يا ولدى الشقى!"

٥ الصبى : ولماذا تنظرين إلينا وتهزين رأسك،

وتتعتيننا باليتيمين المسكينين المنبوذين،

إن كان والدنا الكريم لم يمت؟

الدوقة : يا حفيدى الجميلين، إنكما تسيئان فهمى،

إنى أبكى لمرض الملك

١٠ الذى أكره أن أفقده، ولا أبكى لموت أبيكما:

فالحزن على من ضاع حزن ضائع.

الصبى : إذن فأنت يا جدتى تقرين بأنه قد مات!

إن عمى الملك، هو المسئول عن موته

وسيئأر الله له،

١٥ وسأضرع إليه كل يوم فى صلواتى أن يفعل.

الصبيبة

: وسأضرع إليه أنا أيضًا.

الدوقة

: اهدأ يا طفلين اهدأ إن الملك يحبكما حقًا

أيها البريئان الطيبان الساذجان، إنكما لا تستطيعان

أن تتوهما من المسئول عن موت أبيكما.

الصبي

: بل نستطيع، يا جدتي، فقد أخبرني عمي العزيز،

٢٠

جلوستر

أن الملك اختلق له، بتحريض من الملكة،

ذنوبًا لكي يلقى به في السجن.

وقد بكى عمي حين أخبرني بهذا،

وأخذني بين ذراعيه، وقبل خدي في حنو،

وسألني أن أعتد عليه، وأن أعده أبا لي،

٢٥

وقال إنه سيحبني كما لو كنت ولده.

الدوقة

: وا حسرتا كيف يتخذ الخداع هذا المظهر الرحيم،

ويستتر الحقد الدنس تحت قناع من الفضل!

أجل إنه ولدي، وذلك هو مبعث حزني،

ولكنه لم يرضع هذا الخداع من ثديي.

٣٠

الصبي

: أتظنين يا جدتي أن ذلك كان خداعًا من عمي؟

الدوقة

: نعم يا ولدي

الصبي

: لا أستطيع أن أصدق. اسمعي! ما هذا الصوت؟

(تدخل الملكة وشعرها مرسل إلى أذنيها وخلفها ويفرز ودورست)

الملكة

: أواه! منذ الذى يستطيع الآن أن يوقفنى عن البكاء

والعويل وعن أن أندب حظى وأسوم نفسى العذاب؟
سأجعل اليأس القاتل حليفى بما فيه من هلاك روحى،
وأناصب نفسى العدااء

الدوقة

: ما سر هذا المنظر الجزع الصارخ؟

الملكة إلزابث

: أريد أن آتى أمرًا فظيعةً

٤٠

لقد مات مولاي إدورد ملكنا وزوجى وولدك
كيف تنمو الأغصان بعد أن ذوت الجذور؟
وكيف لا تذبل الأوراق وقد جفاها ماء الحياة؟
إن تعش تقض العمر فى البكاء: أو تمت.
فليسرع إليها الموت
لتلحق بالملك أرواحنا الخفاقة الأجنحة.

٤٥

أو فلنتبعه كالرعايا المخلصين

إلى الليل الأبدى. مملكته الجديدة

الدوقة

: أواه! إن لى فى حزنك نصيبًا كبيرًا

بقدر ا كان لى فى زوجك الجليل من نصيب.

لقد بكيت من قبل موت زوج كريم،

٥٠

ثم عشت بالنظر إليه فى وجوه أبنائه:

والآن قد حطم الموت الحقوق

مرأتين كانتا تعكسان صورته النبيلة،

ولم يبق لسلواى إلا مرآة واحدة خادعة،

أنظر فيها بأسى إلى ما أنجبت من عار.

٥٥

إنك أرملة، ولكنك مع ذلك أم

وما زال لك فى أولادك عزاء.

أما أنا فقد اختطف الموت زوجى من ذراعى،
وانتزع من يدى الواهنتين مادين كلارنس وإدورد.
أواه - إنى لأجدر، إذ كان مصابك أقل من مصابى،

بأن أجار بالعويل أكثر منك،

٦٠

وبان يغطى نواحى على نواحك.

إيه يا عمتى! إنك لم تبك لموت أبينا،
فكيف نستطيع أن نواسيك بدموع الأقارب المماثلة.

: إنك لم تحزنى لتيتمنا بموت أبينا،

الصبية

وكذلك لن نبكى لآلامك إذا أصبحت أرملة!

٦٥

: لا تساعدانى بالنواح،

الملكة إلزابث

فلست عقيماً لا أستطيع أن أخلق أسبابه.

فلتصب كل الينابيع مياهها فى عينى،

وليمدنى القمر، المائى، مبدد من عنده،

حتى أغرق بالدموع العالم بأسره.

٧٠

وا حسرتاه على زوجى - على إدورد مولاي العزيز.

: وا حسرتاه على أبينا - على عزيزنا، لورد كلارنس.

الصبيان

: وا حسرتاه على كليهما - كلاهما ولدى، إدورد وكلارنس!

الدوقة

: أى نصير كان لى غير إدورد؟ وها هو ذا قد مات.

الملكة إلزابث

: أى نصير كان لنا غير كلارنس - وها هو ذا قد مات.

٧٥ الصبيان

: أى نصير كان لى غيرهما وها هما ذان قد ماتا..

الدوقة

الملكة إلزابث : هل أصيبت أرملة بمثل مصابى الجلل؟

الصبيان : هل أصيب أيتام بمثل مصابنا الجلل؟

الدوقة : وهل أصيبت بمثل مصابى الجلل؟

٨٠ وا حسرتاه، إنى أم لأحزان هؤلاء النادبين جميعًا.

إن لكل منهم أحزانه الخاصة أما أنا فأحس كل أحزانهم.

إنها تبكى لإدورد وكذلك أبكى،

وأبكى أنا لكларنس أما هى فلا تبكى ح

ويبكى طفلا كларنس هذان، وكذلك أبكى،

٨٥ وأبكى أنا لإدورد أما هما فلا يبكيان.

وا حسرتاه، فليصب ثلاثتكم دموعكم على

فإنى حاضنة أساكم،

وبنواحي سأهدده.

دورست (إلى الملكة : خفى عنك يا أماه! فإن الله يسوءه

إلزابث)

٩٠ كثيرًا أن تستقبلى قضاءه بمثل هذا الجحود.

إن لمن الجحود فى أمر والحياة الدنيا اليومية،

أن يجد المرء غضاضة فى أن يؤدى ما عليه من دين،

أعارته إياه يدر كريمة حانية.

فلما بالك بنكران دين الله

٩٥ حين يطلب الدين الملكى الذى أعارك إياه.

ريفرز : مولاتى، فكرى- كما ينبغى أن تفكر الأم الحازمة -

فى ولدك الأمير الصغير. أرسلنى فى الحال إليه

ليلبس التاج، ففيه يكون عزاءك.

ولتفدنى فى قبر إدورد أساك اليأس.

ولتزرعى سعادتك فى عرشه الباقي.

١٠٠

(يدخل جلوستر وبكنجهام ودرى وهيستتجز وراتكلف)

: عزاء أختاه. إن علينا جميعاً أن نبكى

جلوستر

أقول نجمنا المتألق،

ولكن المصائب لا تشفى بالبكاء

أى أمى، معذرة فإنى لم أرك.

(يركع)

١٠٥

إنى أركع فى خضوع وأضرع إليك

أن تباركينى.

: فليباركك الله، وليلق فى نفسك الرحمة والمحبة

الدوقة

والإحسان والطاعة والشعور الصادق بالواجب.

: آمين! (بينه وبين نفسه) وليكتب الله لى عمراً مديداً صالحاً.

جلوستر

تلك خاتمة دعوة الأم، فليت شعرى لماذا أغفلتها جلالته؟

١١٠

: أيها الأمراء الذين غام عليهم الحزن،

بكنجهام

أيها النبلاء الذين استبد بقلوبهم الأسى،

انتم من تحملون جميعاً عبء ذلك المصاب المشترك،

ليمنح كل منكم العزاء لأخيه بما يبذل له من حب.

فلئن كنا قد اتفقنا حصاد هذا الملك

١١٥

فلنجنين حصاد ولده.

إن قلوبكم التى صدعها الحقد والمرارة

قد جبرت والتأم شملها منذ أمد قصير .

فلتترفقوا بها حتى تظل مصونة مجبورة الصدع عزيزة؛

ومن الخير فيما أرى أن نرسل الآن حاشية قليلة العدد إلى "لدلو" (١)

لتحضر الأمير الصغير إلى لندن

كى يتوج ملكًا علينا.

ولم تكون حاشية قليلة العدد، يا سيدى اللورد بكنجهام؟

١٢٥ بكنجهام : حتى لا تتكأ جراح الحقد التى لم تكد تلتئم؛ إذا نحن أحضرناه فى حشد كبير يا سيدى اللورد.

وذلك شىء وخيم العاقبة والأمر لم تستقر بعد فى يد تتولى مقاليدها؛

فكل جواد يمضى، مرخى العنان، على هواه،

وكل يؤمل ما يشتهى.

١٣٠ وفى رأى أنه ينبغى أن ندفع ما نتوقع من شر، كما ندفع شرًا قائمًا بالفعل.

جلوستر : أرجو أن يكون الملك قد أصلح ما بيننا جميعًا.

إنى لا زلت ثابتًا على ما أعطيت، من عهد.

ريفرز : وكذلك أنا، وكذلك الآخرون فيما أعتقد؛

١٣٥ على أن ذلك العهد لا يزال غضًا،

لا ينبغى أن يعرض لما يمكن أن يثير

ذهابنا فى جماعة كبيرة من خطر؛

لهذا أوافق النبيل بكنجهام

على أنه من الخير أن يحضر الأمير نفر قليل

١٤٠ هيستتجز : وهذا هو رأيي أنا أيضًا.

جلوستر : فليكن ذلك، ولنمض الآن

لنر من سيذهبون فورهم إلى "لدلو"

سيدتي، وأنت يا أمي، هل لكما أن تذهبا

لتبديا رأيًا في هذا الأمر.

١٤٥ الملكة إلزابث من كل قلبينا

والدوقة (يخرج الجميع ما عدا بكنجهام وجلوستر)

بكنجهام : مهما يكن من أمر الزاهيين إلى الأمير، يا سيدى اللورد،

فإنى بحق اله أرجو ألا نقعد عن الذهاب معهم؛

وبطريقة ما سأدير الأمر كي نبعد أقارب الملكة

الأقوياء عن الأمير.

١٥٠ تمهيدًا لما اتفقنا عليه أخيرًا.

جلوستر : أى صنو نفسى. وناصحى الأمين،

أى كاهنى ونبئى! يا بن عمى العزيز!

سأعمل كالطفل بتوجيهك،

فلهم إذن إلى "لدلو"، فلن نقعد عن الذهاب معهم

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

لندن - شارع

(يدخل مواطنان ويلتقيان)

- المواطن الأول : مرحباً أيها الجار، إلى أين تمضى بهذه السرعة؟
- المواطن الثانى : أؤكد لك أنى أنا نفسى لا أكاد أعرف!
- هل سمعت ما ذاع من نبأ؟
- المواطن الأول : أجل إن الملك قد مات.
- المواطن الثانى : إنه لنبا سىء وحق العذراء، وإن الخبر الطيب لشيء نادر؛ وإنى لأخشى، وأخشى أن نكون مقدمين على فترة قلائل.
- (يدخل مواطن ثالث)
- المواطن الثالث : أى جارى - هيا الله لكما الخير!
- المواطن الأول : وجعل صباحك طيباً يا سيدى.
- المواطن الثالث : أو صح النبأ عن موت الملك إدورد؟
- المواطن الثانى : أجل يا سيدى، إنه صحيح. كان الله فى عوننا الآن
- المواطن الثالث : إذن فتوقعا أيها السيدان فترة قلائل.
- ١٠ المواطن الأول : لا - لا، فسيحكم ابنه بفضل الله
- المواطن الثالث : الويل لدولة يحكمها طفل!
- المواطن الثانى : إن لنا أملاً فى حكم صالح على يديه.

فلا شك أن القيمين عليه
سيحسنون الحكم إلى أن يبلغ الرشد؛
وسيحسنه هو حين يبلغ تلك السن.

١٥

المواطن الأول : هكذا كانت حال الدولة
حين توج هنرى السادس بباريس وسنة تسعة أشهر.
المواطن الثالث : أهكذا كانت حال الدولة؟ لا، لا يا صديقي الكريمين،
علم الله! كانت هذه البلاد.

٢٠

معروفة حينئذ بما فيها من ساسة أجلاء كثيرين،
وكان للملك أعمام خيرون يحمونه.

الموطن الأول : عجباً وكذلك لهذا الملك أعمام وأخوال.

المواطن الثالث : كان خيراً لو كانوا جميعاً أعماماً.

أو لو لم يكن له أعمام قط،

٢٥

فإن التنافس على التقرب إليه الذى يحيق بنا الآن
سيدنى منا جميعاً المصائب إن لم يحمنا الله منها.
ألا ما أخطر الدوق جلوستر!

ثم إن أبناء الملكة وإخوتها صلفون متكبرون.

ليتهم حكموا بدل أن يكونوا الحاكمين،

إذن لسعدت هذه البلاد المنكوبة كما كانت من قبل.

٣٠

المواطن الأول : مهلاً، مهلاً، إننا نتوقع أسوأ ما يمكن أن يكون،

وسينتهى كل شيء إلى خير.

المواطن الثالث : حين تلوح السحب يلبس الحصفاء معاطفهم،

وحين تسقط الأوراق القوية فإن ذلك نذيرًا بالشتاء.
وحين تغرب الشمس فمن ذا الذى لا يرتقب الليل؟
إن الناس يتوقعون القحط بعد العواصف المفاجئة.

٣٥

وقد ينتهى كل شيء إلى خير.
على أنه إذا أراد الله ذلك، فسيكون أكثر مما نستحق،
ومما أتوقع.

المواطن الثانى : حقًا إن الخوف يملأ نفوس الناس،

حتى أنك لا تكاد تتحدث إلى إنسان

لا يثقله الهم والخوف.

٤٠

المواطن الثالث : هكذا تكون الحال دائمًا قبل كل تغير كبير،

فللناس غريزة ملهمة تدفع عقولهم

إلى توقع المستقبل من الأخطار؛

كما نشهد ثورة الأمواج قبل هبوب عاصفة هوجاء.

ولكن، لندع الأمر كله لله، إلى أين؟

٤٥

المواطن الثانى : لقد طلبنا إلى المحكمة

المواطن الثالث : وكذلك طلبت أنا - سأصحبكما

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

لندن. القصر

(يدخل رئيس أساقفة يورك، ودوق يورك الصغير، والملكة إلزابث، ودوقة يورك)

رئيس الأساقفة : سمعت أنهم باتوا البارحة عند نورثامبتون ^(١)
ولاشك أنهم يبيتون الليلة فى "ستونى ستراتفورد" ^(٢)
وسيصلون إلى هنا غدا أو بعد غد.

الدوقة : إن قلبى يفيض شوقاً لرؤية الأمير.
٥ عساه أن يكون قد شب منذ رأيتَه آخر مرة.

الملكة إلزابث : ولكنى سمعت أنه لم يكبر،
ويقولون إن ولدى يورك قد أشوك أن يكون فى مثل طوله.

يورك : نعم يا أمى، وإن كان ذلك لا يسرنى.

الدوقة : ولم لا يا حفيدى الصغير؟ إن من الخير أن ينمو المرء

١٠ يورك : ذات مساء يا جدتى وقد جلسنا للعشاء،

تحدث خالى ريفرز عن نموى بأسرع مما نما أخى.

فقال عمى جلوستر: "نعم، إن الأعشاب المفيدة تكون صغيرة رقيقة

أما الحشائش الخبيثة فتتو بسرعة فائقة"

(١) نورثامبتون Northampton

(٢) ستونى ستراتفورد Stony-Straford

ومنذ ذلك الحين وأنا لا أشتهى أن أنمو بهذه السرعة
لأن الأزهار الجميلة بطيئة النمو، على حين تربو
الحشائش على عجل.

١٥

: تالله إن المثل لم يصدق.

الدوقة

على من لم يرض عن نموك السريع.
فقد كان أضال ما يكون وهو صغير.
وقد أبطأ في النمو وعلى مهل،
ولو صحت القاعدة لكان رقيقاً.

٢٠

: ولا ريب أنه لكذلك، يا مولاتى الكريمة.

رئيس الأساقفة

: أرجو أن يكون كذلك، ولكن من حق الأمهات
أن يجدن بعض الريب.

الدوقة

: وأيم الحق لو فطنت إلى ذلك،
لسخرت من نمو عمى الدوق

يورك

بأشد مما سخر من نموى

٢٥

: وكيف يا يوركى العزيز؟ بالله اسمعنى.

الدوقة

: يقولون إن عمى كان سريع النماء

يورك

حتى لقد كان يستطيع أن ينفذ أسنانه فى كسرة جافة
بعد ساعتين من مولده،

أما أنا فلم تنم لى سن واحدة قبل أن ابلغ من العمر عامين كاملين،

وقد كان ذلك حرياً بأن يكون سخريه لاذعة يا جدتى الدوقة.

٣٠

: قل لى من أنبأك بهذا يا يوركى العزيز؟

الدوقة

- يورك : حاضنته يا جدتى.
- الدوقة : حاضنته! كيف؟ لقد ماتت قبل أن تولد
- يورك : إن لم تكن هى فلا أستطيع أن أقول من أنبأنى ^(١)
- ٣٥ الملكة إلزابث : يا لك من ولد ثرثار! اذهب فإنك فى غاية المكر.
- رئيس الأساقفة : مولاتى الجليلة لا تغضبى على الطفل.
- الملكة إلزابث : إن للأباريق آذانا (يدخل رسول)
- رئيس الأساقفة : ها قد أقبل رسول – ما وراءك من أنباء؟
- الرسول : أنباء يحزننى أن أقولها يا مولاي.
- ٤٠ الملكة إلزابث : كيف حال الأمير؟
- الرسول : بخير وعافية يا مولاتى
- الدوقة : فما أبناؤك تلك إذن؟
- الرسول : لقد حمل اللورد ريفرز واللورد جراى إلى "بومفرت" ^(٢)
- هما وسير توماس فوجان، حيث ألقى بهم فى السجن.
- الدوقة : ومن أمر بهذا؟
- الرسول : الدوقان العظيمان جلوستر ويكنجهام.
- رئيس الأساقفة : بأى ذنب؟
- ٤٥ الرسول : لقد ذكرت كل ما أعرف.

(١) إشارة إلى أن أمه هى التى أنبأته.

(٢) بومفرت pomfert

ولست أدري لم سجن هؤلاء النبلاء.

ولا بأى ذنب يا سيدى الكريم.

الملة إلزابث : لهف نفسى، أنى لألمح خراب أسرتنا؛

٥٠ فلقد أمسك النمر بالطبى الوديع،

وبدأ الطغيان الصلف يمد سلطانه

على العرش البرىء الضعيف.

مرحباً أيها الدمار، أيتها الدماء، أيتها المذابح!

إنى لأرى نهاية كل شىء كما لو كنت أراها فى رسم مخطوط.

٥٥ الدوقة : أيتها الأيام اللعينة المليئة بالشحناء الصاخبة،

كم قد رأيت عيناى منك!

لقد فقد زوجى حياته فى سبيل التاج،

وتقلبت الأحوال كثيراً بأبنائى، بين خير وشر، وتقلبت أنا كذلك بين

السعادة بنصرهم، والبكاء لخسارتهم؛

٦٠ فلما استقر لهم الأمر وقضوا على الخلافات الداخلية

إذا هم يحارب بعضهم بعضاً. فالأخ عدو أخيه

والدم عدو الدم والنفس عدو النفس

إيه أيتها الأهواء المضطربة المجنونة.

أنهى حقدك اللعين!

٦٥ أو أنزلى الموت حتى لا تقع عيناى على الموت من بعد!

الملكة إلزابث : تعال - تعال يا ولدى، فسنلجأ للاحتماء بحرمة الكنيسة.

على اللقاء يا سيدتى

الدوقة : مهلاً، فسأذهب معكما.

الملكة إلزابث : ليس ثمة ما يدعوك إلى هذا.

رئيس الأساقفة : اذهبى يا مولاتى الكريمة واحملى معك ذخائر وأموالك.

٧٠ وسأسلم إليك الخاتم ^(١) الذى أحتفظ به.

وليكافئنى الله بقدر ما أراك وأرعى ذوى قرياك.

هلموا، فسأمضى بكم إلى حرمة الكنيسة

(يخرجون)

(١) خاتم الدولة الذى كان يحفظه لأنه كبير القضاة.

الفصل الثالث

المنظر الأول

لندن. شارع

(تنفخ الأبواق - يدخل الأمير الصغير ودوق وجلوستر وبكنجهام والكردينال بوشيبه وكاتسبي وآخرون).

بكنجهام : مرحبًا بك فى لندن عاصمتك ومثواك أيها الأمير العزيز؛

جلوستر : مرحبًا بك يا ابن أخى ويا مدار أفكارى

لقد علاك الطريق الشاق بمسحة من الحزن.

الأمير : لا يا عماه - ولكن ما لقيناه من متاعب

جعل الطريق مملا متعبًا ثقيلًا.

وددت لو كان لى هنا أخوال أكثر ليرحبوا بى.

جلوستر : أيها الأمير العزيز - إن براءة سنك الصغيرة التى لم تشبها شائبة

لم تخض بعد فيما يكتنف الحياة من خداع،

فأنت لا تستطيع أن تحكم على المرء إلا بمظهره.

والمظهر - علم الله - قليلًا ما يتفق مع طوية القلب،

بل إنه قد لا يتفق معها أبدًا.

إن هؤلاء الأخوال الذين تفتقدهم كانوا خطرًا عليك؟

وقد استمتعت إلى أقوالهم المعسولة،

ولكنك لم تطلع على ما فى قلوبهم من سم.

حماك الله منهم ومن أمثالهم من الأصدقاء الزائفين

الأمير : حمانى الله من الأصدقاء الزائفين! ولكنهم لم يكونوا كذلك

جلوستر

: مولاى - لقد جاء عمدة لندن لتحيتك.

(يدخل عمدة لندن وحاشيته)

العمدة

: وهب الله سموك الصحة والحياة السعيدة.

الأمير

: شكرًا أيها اللورد العزيز. وشكرًا لكم جميعًا.

لقد توقعت أن تخرج أمى وأخى يورك للقائنا فى الطريق

٢٠

قبل أن نصل بوقت طويل.

عار على هيستتجز الكسول

إذا لم يأت لينبئنا أيحضران!

(يدخل لورد هيستتجز)

بكنجهام

: لقد جاء اللورد فى الوقت المناسب، يتصبب عرقًا،

٢٥ الأمير

: مرحبًا يا سيدى اللورد - هل ستحضر أمنا؟

هيستتجز

: لقد لجأت أمكم الملكة وأخوك يورك.

على حمى الكنيسة لسبب يعلمه الله لا أنا.

وكان الأمير الرقيق يوج

لو جاء معنى ليلقى سموكم،

٣٠

ولكن أمه أجبرته على البقاء.

بكنجهام

: يا للعار! يا له من سلوك معوج نزق لا يليق بها.

سيدى الكردينال - هل لقداستك أن تقنع الملكة

بأن ترسل دوق يورك

فى الحال إلى أخيه الأمير؟

٣٥

فإن أبت فاذهب معه يا لورد هيستتجز

وانتزعها بالقوة من بين ذراعيها الغيورتين.

الكردينال

: سيدى اللورد بكنجهام، إذا استطاع بيانى

الضعيف أن يظفر بالدوق يورك من أمه،

فستراه هنا بعد وقت قصير،

أما إذا استعصت على الرجاء الرقيق

فإن الله فى سماه لا يرضى

٤٠

أن نعتدى على حرمة ذلك الحمى المقدس!

ولن أقترف ذلك الإثم الكبير

ولو ملكت كل هذه الأرض.

: إنك عنيد عنادًا لا معنى له يا سيدى.

بكنجهام

مسرف فى التزمت والمحافظة.

٤٥

ولو أنك نظرت على الأمر بروح هذا العصر السمج،

لما وجدت فى إخراجها اعتداء على حمى الكنيسة.

لقد كان هذا الحمى دائماً من حق

أولئك الذين استحقوه بما أدوه من فعال:

أو من أوتوا الفطنة ليدعوا ذلك الحق.

٥٠

والأمير لم يدع ذلك الحق، ولم يأت ما يجعله يستحقه؛

لذلك فهو فى رأى لا يملك هذا الحق؛

وإذن فلن نعتدى على حق ولا حرمة.

إذا أخرجته من ذلك الحمى الذى لا حق له فيه.

لقد سمعت كثير من رجال لجأوا إلى حمى الكنيسة،

٥٥

ولكنى لم أسمع قبل اليوم بأطفال فعلوا ذلك

الكردينال : لقد حولتني عن رأيي هذه المرة يا سيدى.

هيا يا لورد هيستجز، هلا ذهبت معى؟

هيستجز : سأصحبك يا سيدى اللورد.

٦٠ الأمير : عجلًا قدر طاعتكما أيها السيدان الكريمان

(يخرج الكردينال وهيستجز)

أى عمى جلوستر، إذا جاء أخونا

فأين نقيم حتى يحين موعد تتويجنا.

جلوستر : حيث تحبون سموكم،

ولكن إذا كان لى أن أقول رأيي

فإن أرى أن تستريح سموكم يومًا أو يومين فى البرج،

٦٥

وبعدها تنتقل إلى خير مكان

يلائكم صحتكم وراحتك.

الأمير : إننى أكره البرج من بين الأماكن جميعًا.

أصحيح يا سيدى اللورد أن يوليوس قيصر هو الذى بناه؟

٧٠ بكنجهام : أجل يا مولاي الكريم، لقد كان أول من بناه

ثم أعادت بناءه الأجيال المتعاقبة

الأمير : أثلك حقيقة مسجلة،

أم تناقلها الناس من جيل إلى جيل؟

بكنجهام : إنها مسجلة يا مولاي الكريم.

- ٧٥ الأمير : ومع ذلك فيخيل إلى أنها لو لم تسجل؛
فإن الحقيقة تظل حية تنتقل من جيل إلى جيل
يروبها الخلف جميعاً حتى يوم القيامة.
- جلوستر : (بينه وبين نفسه): يقال في المثل إن الصغار النوابغ لا يعمر
٨٠ الأمير : ماذا تقول عمى؟
جلوستر : أقول إن المجد يعمر وإن لم يسجل في كتاب
(بينه وبين نفسه) وهكذا أعبّر - مثل شخصية (١) الظلم
المعهودة - عن معنيين في كلمة واحدة.
- الأمير : لقد كان يوليوس قيصر رجلاً مجيداً
٨٥
بما زادته بسالته على حدة عقله،
فصمم عقله على تخليد بسالته:
ولن يستطيع الموت أن يقهر ذلك الفاتح،
فإنه زال يعيش في مجده وإن لم يعد يعيش في الحياة.
أى ابن العم بكنجهام!
- ٩٠ بكنجهام : ماذا، يا سيدى الكريم؟
الأمير : إن عشت حتى أبلغ مبلغ الرجال
فسأستعيد حقنا القديم فى فرنسا
أو أموت جندياً كما عشت ملكاً.
- جلوستر : (بينه وبين نفسه): إن الصيف القصر يسبقه فى العادة ربيع مبكر

(١) كانت الرذائل فى المسرحيات القديمة تتجسد فى صورة أشخاص، وجلوستر يشير هنا إلى قوله "إن المجد يعمر" ويقصد به فى الحقيقة مجده هو.

- ٩٥ بكنجهام : (يعود هيستنجر والكردينال وفي صحبتها يورك)
ها قد جاء دوق يورك ولم تظل غيبته
- الأمير : أى رتشارد دوق يورك! كيف حال أخينا الحبيب؟
- يورك : بخير أيها السيد المهيّب. كذا يجب أن أدعوك الآن
- الأمير : أجل يا أخي، وإنه ليحزننا كما يحزنك
أن نذكر قريباً موت من كان جدياً بهذا القلب.
١٠٠ لقد فقد القلب بموته كثيراً من جلاله.
- جلوستر : كيف حال ابن أخى دوق يورك النبيل؟
- يورك : أشكرك يا عمى العطوف.
- مولى لقد قلت إن الحشائش التى لا غناء فيها سريعة النماء؟
وها هو ذا أخى الأمير قد سبقنى فى النمو إلى حد بعيد؟
- جلوستر : هذا حق يا سيدى
- ١٠٥ يورك : أهو إذن لا غناء فيه؟
- جلوستر : ما ينبغى أن أقول هذا يا ابن أخى، أيها العزيز،
- يورك : إذن فإن سلطانه عليك يفوق سلطانى.
- جلوستر : إنه مليكى ويستطيع أن يأمرنى،
أما أنت فإننى اشد أزرك كما ينبغى لذى القربى.
- ١١٠ يورك : أرجو يا عم أن تعطينى هذا الخنجر.
- جلوستر : خنجرى يا ابن أخى الصغير! بكل سرور

- الأمير : أو تستجدي يا أخى؟
- يورك : من عمى الكريم - وأعرف أنه سيعطينى إياه،
فليس هذا الخنجر إلا لعبة لا يحزن المرء أن يهبها
- ١١٥ جلوستر : سأمنح ابن أخى هدية أعظم من هذا.
- يورك : هدية أعظم من خنجرك! إذن فأعطني سيفك معه
- جلوستر : لو كان خفيفاً كما ينبغي لأعطيتك إياه يا ابن أخى.
- يورك : قد عرفت إذن أنك لا تحب أن تهب إلا الخفيف من الهدايا.
وستر السائل إذا سألك شيئاً ثقیلاً.
- ١٢٠ جلوستر : إنه أثقل من أن تحمله سموك.
- يورك : لن أقيم له وزناً ولو كان أثقل من هذا.
- جلوستر : ماذا! أتريد أن تأخذ سلاحى أيها الأمير الصغير؟
- يورك : أجل لكى أشكرك شكراً يشبه تسميتك إياه.
- جلوستر : كيف؟
- ١٢٥ يورك : صغيراً.
- الأمير : إن لورد يورك لا يزال يبدي الغضب فى حديثه يا عم،
و لا شك أنك ستحتمل ذلك منه.
- يورك : تعنى يحملنى لا يحتملنى.
- إن أخى يسخر منك ومنى معاً يا عم،
فإنه يظن - لأنى صغير كالقرد-
- ١٣٠

أنك تستطيع أن تحملنى على كتفك (١)

بكنجهام

: يا له من متحدث لبق سريع البديهة!

فقد عاب نفسه على نحو طريف بارع،

لتحتمل له سخريته من عمه.

إنه لشيء رائع أن يكون فى مثل تلك السن

الصغيرة وفيه هذا الدهاء

١٣٥

جلوستر

: سيدى الأمير، هلا تفضلت بالذهاب؟

بينما أذهب أنا

وابن العم الكريم بكنجهام إلى أمكما

لأسألها أن تلقاك فى البرج وترحب بك.

١٤٠ يورك

: ماذا! أتذهب إلى البرج يا مولاي؟

الأمير

: تلك رغبة سيدى اللورد الوصى.

يورك

: لن يهدأ لى نوم فى البرج.

جلوستر

: ولم لا؟ ماذا يخيفك منه؟

يورك

: ويحى! شبح عمى كلارنس الغضوب،

١٤٥

فقد أنبأتنى جدتى أنه قتل هناك.

الأمير

: لست أخشى الموت من أعمامى

جلوستر

: ولا الأحياء فيما أرجو

الأمير

: أرجو ألا اضطر إلى ذلك إن قدرت لهم الحياة.

(١) فى هذا سخرية من جلوستر إذا كان أحذب (كما صوره شكسبير).

أما الآن فهيا بنا يا سيدى اللورد فسأذهب إلى البرج

والحزن يثقل قلبى لذكراهم.

١٥٠

(صوت بوق - يصحب هستتجز والكردينال الأميرين ويتركان

جلوستر، وبكنجهام وكاتسبى).

: ألا تظن يا سيدى اللورد

بكنجهام

أن يورك ذلك الثرثار الصغير قد دفعته أمه الأريية

إلى السخرية بك، والنيل منك على هذا النحو الزرى؟

: بلا ريب، بلا ريب.

جلوستر

آه! إنه لصبى خطير، جرى حاضر البديهة،

١٥٥

بارع مقدم قدير. إنه كأمة من قمة رأسه إلى أخمص قدمه.

: دعك الآن منهما، هلم يا كاتسبى

بكنجهام

لقد أقسمت يمينًا، مغلظة أن تنفذ ما اعتزمناه

وأن تحتفظ به سرًا.

ولقد علمت ما دار حوله حديثنا فى الطريق

١٦٠

فماذا ترى أليس من العسير

أن نستطيع أن نقنع اللورد وليام هيستتجز

بما نراه من تنصيب هذا الدوق النبيل

ملكًا على عرش تلك الجزيرة المجيدة؟

: إنه يحب الأمير - من أجل أبيه - حبًا جمًا،

١٦٥ كاتسبى

حتى ليستحيل إقناعه بأية وسيلة لينقلب ضده.

: وما رأيك فى ستانلى إذن؟ ماذا يكون موقفه؟

بكنجهام

: سيفعل مثلما يفعل كاتسبى تمامًا.

كاتسبى

بكنجهام

: إذن فليس أماننا إلا هذا.

١٧٠

تذهب يا كاتسبى الكريم وتستطع فى لباقة

رأى اللورد هيستنجز فيما اعتزمناه،

وتدعوه غداً إلى البرج ليحضر المجلس

الذى سينظر فى أمر التتويج.

فإن رأيت منه ميلاً إلينا

١٧٥

فشجعه وبين له حججنا.

أما إن رفض رفضاً ثقیلاً كالرصاص، بارداً كالتلج،

فكن مثله واقطع حديثك معه وأخبرنا بنيته.

فسنعقد غداً مجلسين منفصلين (١)

وستشغل بهما انشغالاً كبيراً

١٨٠ جلوستر

: بلغ تحياتى إلى اللورد وليام، وقل له يا كاتسبى،

إن رؤوس تلك الجماعة من خصومه القداماء

ذوى الخطر لتقطع غداً فى قلعة بومفرت.

وهنىء صديقى بذلك النبأ السار، واحمل كذلك قبلة حانية منى إلى

السيدة "شور"

١٨٥ بكنجهام

: اذهب يا كاتسبى العزيز وأنفذ هذا الأمر فى حكمة.

: سأبذل كل جهد يا سيدى اللوردان الكريمان

كاتسبى

: هل نراك قبل أن تنام يا كاتسبى؟

جلوستر

: أجل يا سيدى اللورد.

كاتسبى

(١) مجلس خاص بخلاف المجلس العام.

جلوستر : ستجدنا كلينا فى قصر كروسبى (يخرج كاتسبى)

١٩٠ بكنجهام : والآن يا سيدى ماذا ترانا نفعل

إن عرفنا أن اللورد هيسنتجز لن يستجيب لخططنا؟

جلوستر : نضرب عنقه يا رجل - ذلك ما سنفعل.

وحين أظفر بالملك فاسألنى أن تكون إيرل "هيرفورد" (١)

وتحوز كل ما كان لأخى الملك من مقتنيات منقولة.

١٩٥ بكنجهام : سأسأل تحقيق هذا الوعد من يدىك يا سيدى اللورد

جلوستر : وسنعطيك إياه برغبة صادقة.

والآن فلنتناول العشاء

ثم ننظر بعد ذلك فى إحكام خططنا.

(يخرجون).

الفصل الثانى

المنظر الثانى

أمام بيت اللورد هيستجز: الوقت ليل

(يطرق الباب "يدخل رسول" ويقف دون باب هيستجز)

الرسول

: سيدى اللورد! سيدى اللورد!

هيستجز (من الداخل): من الطارق؟

الرسول

: رسول من اللورد ستانلى

هيستجز (من داخل): كم الساعة

٥ الرسول

: أوشكت على الرابعة (يفتح هيستجز الباب)

هيستجز

: ألا يستطيع سيدى اللورد ستانلى النوم

فى هذه الليالى الطويلة الثقيلة؟

الرسول

: يبدو أنه لا يستطيع، وربما أدركت هذا بعد أن تسمع رسالته،

وهو يبدأ فيبعث بتحياته إلى مقامك الجليل.

هيستجز

: ثم؟ ثم يقول: لنبالتك، إنه قد رأى الليلة فى المنام

١٠ الرسول

: إن الخنزير البرى هاجمه وأسقط خوذته؛

ويقول إن ثمة مجلسين ينعقدان غداً،

وربما تقرر فى احدهما ما يجعلك

أنت وهو تأسفان على ما دار فى الآخر.

١٥

لذلك أرسلنى لأسأل عظمك

هل تحب أن تركب معه فى الحال،

لترحلا سريعاً إلى الشمال
حتى تتجنبنا الخطر الذي توقعته نفسه في الحلم
الذي رآه.

هيستجز

: اذهب يا رجل - اذهب. عد إلى مولاك

٢٠

وأخبره ألا يخاف المجلسين المنفصلين؛
فيشهد كلانا المجلس الأول؛
ويحضر الآخر صديقي الكريم كاتسبي،
فإذا دار هناك أى شىء يهمنى
فسينبئنا به.

٢٥

قل له إن مخاوفه لا مبرر لها من الواقع،
أما أحلامه فإنه لا ينبغي أن يكون من السذاجة
بحيث يصدق أضغاث الأحلام،
تلك التى يوحى بها إليه نوم غير مطمئن.
إن فرارنا أمام الخنزير، قبل أن يتبعنا،

٣٠

سيغريه بأن يطاردنا وإن لم ينو ذلك من قبل.
اذهب، واسأل مولاك أن ينهض، ويحضر على؛
لكى نذهب معاً إلى البرج،
وسيرى هناك كيف يكون الخنزير رقيقاً معنا.

الرسول

: سأمضى وأبلغ رسالتك إليه يا سيدى اللورد (يخرج)
(يدخل كاتسبي)

٣٥ كاتسبي

: سعد إصباحك دائماً، يا سيدى اللورد النبيل!

هيستجز

: سعد صباح يا كاتسبي. لقد نهضت مبكراً.

ما الأنباء؟ ما أنباء دولتنا المتداعية؟

كاتسبى : حقًا! إنه لعالم مترنج، يا سيدى اللورد؛
وما أظن أم أمره سيستقيم أبدًا.

٤٠ إلا أن يلبس رتشارد إكليل الملكة.

هيستجى : كيف؟ يلبس الإكليل! أتعنى التاج؟

كاتسبى : أجل يا سيدى اللورد.

هيستجى : إنى لأوثر أن يطاح بتاج رأسى ^(١) الذى أحمله
على كتفى؛

قبل أن أرى التاج يوضع فى غير موضعه على هذا النحو الزرى.

٤٥ ولكن أظنه يسعى إلى ذلك؟

كاتسبى : أجل، لعمرى. وهو يأمل أن يراك سريعا إلى جانبه،

لما سيكون ذلك من خير لك

لذلك أرسلنى بهذا النبأ السار.

إن أعداءك من أقرباء الملكة

٥٠ سيقتلون بلا ريب اليوم فى "بومفرت"

هيستجى : حقًا إن هذا النبأ لا يحزننى،

فإنهم كانوا، ولا يزالون، أعدائى

أما أن أنحاز إلى جانب رتشارد،

لأحول بين ورثة مولاي وبين حقهم المشروع

فى العرش،

(١) يعنى رأسه والكلمة بالإنجليزية تعنى التاج والرأس معًا.

فإنه يعلم أنى لن افعل ذلك ولو مت دونه

كاتسبى

: أدام الله وفاءك يا سيدى اللورد.

هيستتجز

: ولكن العام لن ينقضى حتى أضحك من هذا،

حين أشهد مأساة أولئك

الذين حاولوا أن يدفعونى إلى عداء مولاي.

أقول لك يا كاتسبى...

٦٠ كاتسبى

: ماذا، يا سيدى؟

هيستتجز

: لن ينقضى أسبوعان حتى أقضى على بعض الناس

دون أن يتوقعوا من ذلك شيئاً.

كاتسبى

: إنه لشيء فظيع، يا سيدى اللورد الكريم،

أن يقتل المرء على غرة.

٦٥ هيستتجز

: أوه! إنه بشع! وهكذا سيكون وقعه

عند ريفرز وفوجان وجرى.

وهكذا سيكون وقعه عند غيرهم،

أولئك الذين يظنون أنفسهم،

متلى ومثلك، بمأمن من الخطر،

أولئك الذين يحبهم الأميران رتشارد وبكنجهام د

كما تعلم

كاتسبى

: إن الأميرين يقدران ما لك من شأن رفع.

(بين وبين نفسه) فإنهم يقدران أن رأسه قد اتخذ

مكانه الرفيع على الجسر (١)

هيستجز

: أعلم هذا عنهما. وإنى لأهل له.

(يخل لورد ستانلى)

أهلا - أهلا - أين رمحك يا رجل؟

٧٥

أتخاف الخنزير البرى وتمضى هكذا بغير سلاح!

ستانلى

: صباح الخير، يا سيدى اللورد، صباح الخير يا كاتسبى

تستطيع أن تسخر من ذلك

ولكنى أقسم بحق الصليب المقدس أنى أنا

لا أطمئن إلى هذين المجلسين، المنفصلين.

هيستجز

سيدى،

:

٨٠

إنى حريص على حياتى حرصك على حياتك،

بل إنى لأؤكد بأنى لم أكن يوماً أحرص منى عليها الآن.

أنظن أنى أستطيع أن أكون مبتهجاً، كما ترانى،

لو لم أكن مطمئناً على سلطاننا؟

ستانلى

: لقد كان اللوردات الذين يقيمون الآن فى سجن بومفرت

٨٥

مبتهجين حين ركبوا من لندن،

وكانوا مطمئنين على سلطانهم، ولم يكن هناك،

حقاً، ما يبعثهم على الريبة.

ومع ذلك فأنت ترى كيف تلبد يومهم سريعاً بالغيوم.

إنى لأخشى طعنة الحقد الغادرة،

(١) يعنى أن رأسه سيعلق على جسر لندن بعد إعدامه كما كان متبعاً.

واسأل الله أن تثبت الحوادث أنى كنت جبانًا
دون داع إلى الجبن!

هلا ذهبنا إلى البرج؟ فقد أوشك اليوم ^(١) أن ينصرم ٩٠

هيستجز : هلم بنا - هلم - أو تعلم، يا سيدى اللورد،
أن السادة الذين تتحدث عنهم ستضرب أعناقهم اليوم؟

ستانلى : إنهم بإخلاصهم يستحقون أن يحتفظوا برؤوسهم
أكثر مما يستحق بعض الذين اتهموهم أن يلبسوا قبعاتهم.

ولكن هلم بنا يا سيدى اللورد (يدخل رسول رسمى) ٩٥

هيستجز : فلتذهب أنت الآن ربما أتحدث إلى هذا الفتى الطيب.
(يخرج ستانلى وكاتسبى)

ماذا وراءك يا فتى! وكيف حالك؟

الرسول : إن سؤال عظمتكم عن حالى يجعلنى فى خير حال.

هيستجز : أما عن حالى فإنى أقول لك يا رجل،

إنها الآن أسعد مما كانت عليه حين التقنا آخر مرة، ١٠٠

فقد كنت حينئذ فى طريقى إلى سجن البرج

بإيحاء من شيعة الملكة؛

أما الآن فإنى أنبئك بخير أرجو أن تحتفظ به سرًا،

إن هؤلاء الأعداء سيعدمون اليوم،

ولم تكن حالى فى يوم خيرًا مما هى الآن. ١٠٥

(١) فى البيت الخامس فى أول هذا المنظر يذكر أن الساعة "أوشكت الرابعة".

- الرسول : أدام الله على عظمتكم الخير والرضى.
- هيستنز : شكرًا عظيمًا. أيها الفتى. واشرب نخبى
(يرمى إليه بكيسه)
- الرسول : أشكر عظمتك
(يخرج) (يدخل قسيس)
- القسيس : أهلاً سيدى اللورد - إنى سعيد برؤية عظمتك
- ١١٠ هيستنز : أشرك من صميم قلبى يا سيدى الكريم السير ^(١) جون.
إنى مدين لك بما أديت من طقوس؛
ولكن عد السبت التالى، تجد ما يرضيك.
(يهمس فى أذنه)
- القسيس : سأقوم على خدمتك.
(يدخل بكنجهام)
- بكنجهام : ماذا! أيتحدث اللورد، كبير أمناء القصر، إلى قسيس؟
- ١١٥ : إن أصدقاءك فى "بومفرت"، هم الذين يحتاجون إليه؛
أما عظمتك فلا حاجة بك الآن إلى الاعتراف.
- هيستنز : بالله لقد ذكرت أولئك الذين تتحدث عنهم حين لقيت هذا القسيس.
اذهب أنت على البرج؟
- بكنجهام : أجل يا سيدى اللورد. ولكنى لن أمكث طويلاً،
فسأعود من هناك قبل أن تعود عظمتك ^(٢)
- ١٢٠

(١) كان لقب سير يمنح فى تلك الأيام لمن يحمل شهادة عالية فى علوم الدين.

(٢) إشارة إلى أنه لن يعود أبداً.

هيستتجز : هذا صحيح فسأبقى لأتناول الغداء هناك.

بكنجهام : (لنفسه) والعشاء أيضًا، وإن كنت لا تدري.

(يجهر بالقول) أذهب أنت الآن؟

هيستتجز : أجل - سأذهب في خدمتك.

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

قلعة بومفرت (Pomfret)

(يدخل سير رتشارد راتكليف وحملة الرماح يسوقون ريفرز وجرای وفوجان إلى الموت)

- راتكليف : هيا - تقدموا بالسجناء.
- ريفرز : دعنى أقل لك، يا سير رتشارد،
إنك ستشهد اليوم، موت واحد من رعية الملك،
لإخلاصه وولائه وأتباعه الحق
- ٥ جرای : حمى الله الأمير من طغمتكم جميعاً!
فأنتم عصابة لعينة من مصاصى الدماء.
- فوجان : ستعيش حتى تبكى ندمًا على هذا.
- راتكليف : هيا فقد حان أجلكم.
- ريفرز : أى بومفرت، أى بومفرت! أيها السجن الدموى،
يا تهلكة السادة النبلاء وشقاءهم!
- ١٠ بين جدرانك اللعينة!
مزقت السيوف رتشارد الثانى.
وها نحن أولاء نمحك دماءنا النبيلة لتشربها.
ويزداد مقرك المشئوم عارًا بين الناس.
- ١٥ جرای : لقد حلت على رؤوسنا لعنة مرجريت،
عندما صرخت مستجدة بهيستجز، وبك، وبى،

فلم نحرك ساكنًا ونحن نرى رتشارد يطعن ولدها،

ريفرز

: لقد استنزلت اللعنات على هيستنجز،

ثم على رتشارد، ثم على بكنجهام. رب فلا

٢٠

تنس دعاءها عليهم، كما سمعت دعاءها علينا.

ولتكن دماؤنا يا ربي الكريم،

دماؤها التي ستراق - كما تعلم - دون ذنب،

كفارة عن أختي وولدها الأميرين.

راتكليف

: هيا فقد حانت ساعة الموت.

٢٥ ريفرز

: فلنتعانق ويودع بعضنا بعضًا

أي جرای فوجان على أن نلتقي في السماء.

(يخرجون).

الفصل الثالث

المنظر الرابع

برج لندن

(يدخل بكنجهام ودربى وهيستجز وأسقف أيلى وراتكليف ولوفل مع آخرين، ويجلسوا إلى منضدة).

هيستجز

: وبعد، أيها السادة النبلاء،

لقد اجتمعنا لى نحدد يوماً للتتويج.

فقولوا بالله! متى يكون ذلك اليوم الملكى؟

بكنجهام

: أأعد كل شىء لذلك اليوم الملكى؟

هـ دربى

: أجل ولم يبق إلا أن نحدده

أيلى

: إن غداً ليوم ميمون فيما أرى.

بكنجهام

: من منكم يعرف رأى اللورد الوصى؟

أيكم أقرب إلى الدوق النبيل؟

أيلى

: أظن أن عظمتك تستطيع أن تعرف رأيه بأسرع مما نستطيع

١٠ بكنجهام

: من! أنا يا سيدى؟

كلانا يعرف وجه صاحبه

أما عن قلوبنا فإن لا يعرف عن قلبى، أكثر مما أعرفه عن قلبك،

ولا أعرف عن قلبه، يا سيدى، اللورد أكثر مما تعرفه عن قلبى.

أي، لورد هيستجز، إنكما صديقان حميمان.

١٥ هيستجز

: إننى أشكر عظمته لما يولبنى من ود.

ولكنى لم أسأله عن رأيه

فى أمر التتويج،

ولم يشأ عظمته أن يقول شيئاً عنه.

على أنكم، أيها السادة اللوردات الأجلاء،

تستطيعون أن تحدّدوا اليوم

٢٠

وسأدلى برأى نيابة عن الدوق. وأرجو أن يوافق عليه.

(يدخل جلوستر)

أيلي

: ها قد جاء الدوق بنفسه فى وقت حاجتنا إليه.

جلوستر

: طاب صباحكم جميعاً، يا سادتي اللوردات الأجلاء،

ويا أبناء العم. لقد تأخرت فى النهوض،

ولكنى، أرجو، ألا يكون ذلك قد عاقكم عن

بحث أمور خطيرة

٢٥

كان حضوري معكم يمكن أن ينجزها.

بكنجهام

: لو لم تجيء فى اللحظة المناسبة،

يا سيدى اللورد لأعلن وليم لورد هيستتجز عن موقفك،

أعنى عن رأيك، فى أمر تتويج الملك.

٣٠ جلوستر

: لن تجد أحداً أكثر جرأة من اللورد هيستتجز؛

فإن عظمته يعرفنى خير المعرفة ويحببنى أصدق الحب.

هيستتجز

: شكراً لعظمتك.

جلوستر

: أى لورد أيلي.

أيلي

: سيدى؟

جلوستر

: لقد رأيت فى حديقتك حين كنت فى "هولبورن" آخر مرة

ثمارًا طيبة من "الفراولة"

٣٥ فهلا أرسلت في طلب شيء منها.

أيلي : تالله لأفعلن يا سيدى بكل سرور.

(يخرج)

جلوستر : بكنجهام يا ابن العم، إن لى كلمة معك.

(تنتحى به جانبًا)

لقد استطلع كاتسبى رأى هيستنجز فيما اعتزمنا من أمر،

فوجد السيد العنيد عنيفًا كل العنف

٤٠ حتى أنه ليؤثر أن يفقد عنقه

قبل أن يوافق على أن يفقد عرش إنجلترا

ولد سيده - كما يأبى له إخلاصه إلا أن يسميه.

بكنجهام : انصرف سيادتك برهة وسأصحبك.

(يخرجان)

درى : لم نحدد بعد ذلك اليوم المظفر،

٤٥ وفى رأى، أن الغد جد قريب،

ولست على استعداد له؛

كما يمكن أن أكون لو كان أبعد من هذا.

(يعود أسقف أيلي)

أيلي : أين سيدى اللورد دوق جلوستر؟

لقد أرسلت في طلب "الفراولة"

٥٠ هيستنجز : إن عظمته يبدو اليوم مبهجًا راضيًا؛

ولاشك أن تحيته إيانا يمثل ذلك المرح دليل

على أن هناك أمرًا أو آخر سره سرورًا كبيرًا.
فما أظن أحدًا على وجه الأرض يضارعه
فى عجزه عن إخفاء حبه أو بغضه؛
حتى ليستطيع المرء بنظرة واحدة إلى وجهه أن
يعرف مكنون قلبه

٥٥

درى : وماذا عرفت اليوم من مكنون قلبه

بما بدا على وجهه من سرور؟

هيستجز : الحق أنه غير ساخط على أحد هنا.

فلو كان به سخط بان ذلك فى وجهه.

٦٠ درى : أسأل اله ألا يكون به سخط على أحد.

(يعود جلوستر ويكنجهام وقد علت وجهه كآبة عجيبة وراح يقطب
جبينه ويعض شفته).

جلوستر : ناشدتك جميعًا أن تخبرونى،

ما جزاء من يأترون على موتى،

بأساليب شيطانية من السحر اللعين؟

ومن نالوا من جسد بطلاسمهم الجهنمية؟

٦٥ هيستجز : إن ما أحمله لعظمتك من حب حان، يا سيدى اللورد،

يحدونى أن أبادر أمام النبلاء،

فأدين أولئك المجرمين مهما تكن أشخاصهم:

وأعلن يا سيدى اللورد أنهم يستحقون الموت.

جلوستر : إذن فلتشهد عيناك على ما أصابنى من شرهم!

٧٠ انظر كيف حاق بى السحر!

تأمل ذراعى وقد ذوت

كغصن جاف عصف به الريح.

ذلك ما صنعه بسحرها زوج إدورد؛

تلك الساحرة الرهيبة، هى وتلك البغى شور،

٧٥ هيستتجز : إن كانتا قد فعلتا ذلك، يا سيدى اللورد النبيل،

جلوستر : إن؟ يا حامى تلك العاهرة اللعينة،

أقول لى "إن"؟ أنت خائن!

اضربوا عنقه. وحق القديس بولس

لن أتناول غدائى حتى أرى رأسه!

٨٠ عليكم بتنفيذ ذلك الأمر يا "لوفل" ويا "راتكليف".

ولينهض الباقون، الذين يحبوننى، وليتبعونى.

(يخرج الجميع ما عدا هيستتجز وراتكليف ولوفل)

هيستتجز : وا أسفاه - وا أسفاه على إنجلترا! ولا ذرة من أسف على أنا!

فقد كنت أستطيع أن أتجنب هذا، ولو لم أكن

على هذا النحو من الحمق.

لقد رأى استانلى فى المنام أن الخنزير البرى قد أصاب خوذته؛

ولكنى سخرت من حلمه وأنفت من الفرار.

٨٥

لقد عثر جوادى المجلل إلى قوائمه ثلاث مرات

حين رأى البرج اليوم،

كأنما كان يأبى أن يحملنى إلى المجزرة.

أوه، والآن أجدنى فى حاجة إلى ذلك القس،

الذى تحدث إلى:

الآن أشعر بالندم لأنى قلت للرسول الرسمى،

فى لهجة الظافر كل الظفر على أعدائه،

٩٠

إنهم قد ذبحوا فى بومفرت

فى حين بقيت أنا فى رضى وأمن.

أى مرجريت، أى مارجريت، الآن حلت لعنتك الثقيلة

على رأس هيستتجز المسكين الشقى.

: هيا هيا - وأسرع فقد حان موعد غداء اللورد.

٩٥ راتكليف

لا تطل اعترافك فإن الدوق يشتهى أن يرى رأسك.

: أيها النعم الزائل! يا نعم المخلوقين الفانين

هيستتجز

الذى نسعى وراءه أكثر مما نسعى وراء رضى الله!

إن من يبنى آماله على هواء من مظهرك الجميل،

يعيش كبحار مخمور على سارية سفينة،

١٠٠

تستطيع أية هزة أن ترمى به

إلى أحشاء البحر القاتلة.

: هيا - هيا - أسرع. إن الشكوى لا غناء فيها

لوفل

: إيه، أيها السفاح رتشارد! - أى إنجلترا التعسة!

هيستتجز

إنى أتنبأ لكما بأشق مصير شهدته الأيام.

١٠٥

هيا - امضيا بى إلى النطع واحملا رأسى إليه

فإن من يضحكون لمصيرى عما قليل سيلقون حتفهم

(يخرون)

الفصل الثالث

المنظر الخامس

أسوار البرج

(يدخل جلوستر وبكنجهام فى دروع بالية واضطراب بالغ)

جلوستر : إيه يا ابن العم - ألا تستطيع أن ترتجف وتتصنع الشحوب؛

وتبدو كأنما تقطعت أنفاسك خلال الحديث؟

ثم تبدأ الحديث من جديد، ثم تقطعه.

كأنما أصابك الرعب بمس من الجنون؟

٥ بكنجهام : حسبك فإنى أستطيع أن أقلد ممثل المأساة البارع

فأتحدث، ثم أنظر إلى وراء، وأتطلع عن

يمين، وشمال،

ثم أرتجف، وأفزع لسقوط قشة وأتكلف

التوجس الشديد؛

ولا تتقصنى النظرات الوالهة

كما لا تتقصى الابتسامات المفتعلة؛

١٠ فكلها على استعداد لمعونتى،

فى أى وقت، لكى أنفذ ما دبرت من خطط.

ولكن، هل ذهب كاتسبى؟

جلوستر : نعم، وها هو ذا قد أحضر العمدة.

(يدخل العمدة وكاتسبى)

بكنجهام : أيها العمدة.

- ١٥ جلوستر : انظر هناك إلى الجسر المتحرك!
- بكنجهام : أسمع - دقة طبل!
- جلوستر : انظر يا كاتسبى من فوق الأسوار.
- بكنجهام : أيها العمدة لقد دعوناك لكى...
- جلوستر : انظر وراءك - احم نفسك فقد اقبل بعض الأعداء!
- ٢٠ بكنجهام : فليحمنا الله ويحرسنا - ولتحمنا وتحرسنا براءتنا!
- جلوستر : مهلاً، فإنهما صديقان. راتكليف ولوفل
(يدخل لوفل وراتكليف برأس هيستجز)
- لوفل : ها هو ذا رأس ذلك الخائن الخبيث، هيستجز،
ذلك العدو الخطير الذى لم يكن يشك فيه أحد.
- جلوستر : أحس بحاجة إلى البكاء فقد كنت أحبه أعظم الحب.
- ٢٥ : لقد حسبته أصرح إنسان يعيش على هذه الأرض؛
وأبعد المسيحيين طرا عن التفكير فى أى شر.
فاتخذت منه كتاباً
تسجل فيه روحى كل ما خفى من خلجاتها.
كم كان بارعاً فى إخفاء رذائله،
بما يبدو عليه من مظاهر الفضيلة.
حتى لقد عاش بعيداً كل ريبة؛
٣٠ إن نحن أغفلنا ذنبه الظاهر المعروف
أعنى صلته بزوج شور.
بكنجهام : أجل - لقد كان أقدر الخائنين

على إخفاء خيانتته وسترها.

٣٥

هل يمكن أن يدور بخلدك، أو تعتقد،

إنه لولا عناية الله العظيم،

ما عشنا لنخبرك أن هذا الخائن الداهية،

كان قد أعد خطة لاغتيالنا اليوم، فى مقر المجلس.

أنا وسيدى الكريم لورد جلوستر؟

٤٠ العمدة

: ماذا! أو قد فعل هذا؟

جلوستر

: عجباً! أحسبنا أترأى أو كفاراً،

أم تحسب أننا كنا نبادر

إلى قتل ذلك الغادر، فى مثل تلك العجلة،

دون أن تلجأ إلى القانون،

٤٥

لو لم تضطربنا إلى ذلك شدة خطورة الأمر،

والمحافظة على سلامة إنجلترا، وسلامتنا نحن؟

العمدة

: كتب الله لكما الخير! لقد استحق الموت.

وقد أحسنتما صنعاً، يا سيدى الكريمين،

إذ جلعتماه نكالا للخائنين الخادعين.

٥٠ بكنجهام

: على أنى لم أتوقع منه خيراً قط،

منذ بدأ علاقته بالخليلة شور.

ومع ذلك، فقد كان فى نيتنا ألا نقتله،

حتى تشهد عظمتك مصرعه.

لولا أن حال دون ذلك إخلاص هذين السديين

٥٥

من أصدقائنا، فدفعهما إلى تلك العجلة،

وهو ما لا يلائم قصدنا كل الملاءمة.

لقد كنا نحب أن نسمع عظمتك،

حديث الخائن واعترافه الوضيع،

عن أسلوبه فى تنفيذ خيانتته، وغايته منها،

لكل تتقل ذلك إلى أهل المدينة؛

٦٠

حتى لا يسيئوا تأويل سلوكنا نحوه، ويحزنوا لموته.

: ولكن قولك، يا سيدى اللورد الكريم،

العمدة

يغنى عن رؤيتى إياه، وسماعى اعترافه.

سأعمل، يا سيدى النبيلين على أن أنقل

إلى أهل المدينة المخلصين،

٦٥

عدالة مسلككما فى هذا الأمر

: ولهذا الغرض كنا نود أن تكون عظمتك حاصراً،

جلوستر

حتى نتجنب نقد الناس وملاءمتهم

: أما وقد جئت بعد فوات الوقت.

بكنجهام

فاشهد على ما كنا قد انتويناه

٧٠

والى اللقاء يا سيدى اللورد الكريم.

(يخرج العمدة)

: اذهب - اتبعه يا بكنجهام يا ابن العم -

جلوستر

اتبعه فإنه سيمضى سريعاً إلى ندوة المدينة:

وهناك فلننتهز الفرصة، بقدر ما نستطيع،

لكى نقدر فى نسبة أبناء إدورد إلى أبيهم.

٧٥

أخبر الناس كيف أعدم إدورد رجلاً من أهل المدينة،

لا لشيء إلا لأنه قال إنه سيجعل ابنه وريثاً للتاج،
يريد بذلك بيته المعروف بهذا الاسم
إذ كان التاج ^(١) هو العلامة المميزة له.

ثم تحدث عن ترفه الذميم،

٨٠

وخضوعه البهيمى لشهواته المتقلبة،
تلك التى امتدت إلى خادمااتهم ونباتهم وزوجاتهم.
ذكرهم كيف كانت عينه النهمة، وقلبه الضارى،
يبحثان دائماً بلا وازع عن فريسة جديدة.

فإن اقتضى الأمر فأخبرهم، لكى تخلص إلى ذكرى،
أن أبى، الأمير يورك، كان يحارب فى فرنسا،
تبين وضعت أمى ذلك المنهوم إدورد.
وحين حسب أبى أيام الحمل حساباً دقيقاً،
تبين له أن الوليد ليس له ابنه.

٨٥

وقد صدقت ملامح الوليد شكه،

٩٠

إذ لم تكن ملامحه تشبه ملامح والدى النبيل فى شيء
على أنه ينبغى أن تمس هذا الأمر مساً رقيقاً؛
كأنما جاء إلى خاطرك عرضاً.

فإنك تعلم، يا سيدى اللورد، أن أمى لا تزال على قيد الحياة.

: لا تخش شيئاً، يا سيدى اللورد، فسأقوم بدور الخطيب فى براعة.

بكنجهام

كما لو كنت سأنال لنفسى

٩٥

تلك المكافأة الذهبية التى أطلبها لك.

(١) كانت البيوت فى تلك الأيام تحمل علامات مميزة بدل الأرقام.

فإلى اللقاء يا سيدى اللورد.

جلوستر : إذا وفقت إلى غايته فأحضرهم إلى قلعة "باينارد" (١) "

حيث تجدني، في صحبة القسيسين الأجلاء،

والأساقفة الراسخين في العلم.

١٠٠ بكنجهام : سأذهب الآن. أنتظر ما أحمله من أنباء ندوة المدينة،

حول الساعة الثالثة أو الرابعة.

(يخرج)

جلوستر : اذهب يا لوفل بأقصى سرعة إلى الدكتور شو (٢)

(إلى كاتسبي)

واذهب أنت إلى الأب "ينكر" (٢)

وأسألها أن يلقاني في تلك الساعة في قلعة

"باينارد".

(يخرج الجميع ما عدا جلوستر)

١٠٥ فلأدخل الآن لأدبر أمرًا خاصًا، فأبعد ولد

كلارنس وابنته عن هذا المكان.

وأمر ألا يتصل أحد، مهما يكن شأنه، بالأميرين

(يخرج)

(١) قلعة باينارد Baynard Castle.

(٢) من رجال الدين، وهما اللذان سيخرج جلوستر بصحبتهما للقاء العمدة في الفصل التالي.

الفصل الثالث

المنظر السادس

المنظر نفسه - شارع

(يدخل مسجل بورقة فى يده)

المسجل : هذه هى وثيقة اتهام اللورد هيستنجز الرجل

الطيب كتبتها بخط واضح أنيق

لكى تقرأ اليوم فى كنيسة القديس بولس.

ما أروعها من قصة محبوبة!

لقد أنفقت فى نسخها إحدى عشرة ساعة،

إذ جاء بها إلى كاتسبى ليلة أمس؛

واستغرقت صياغة مسودتها مثل هذا الوقت.

ومع ذلك فقد كان اللورد هيستنجز لا يزال

منذ خمس ساعات على قيد الحياة:

حرًا عزيزًا لا يتهمه أحد. يا لها من حياة طيبة!

من ذلك الغبى الذى لا يرى تلك الخدعة البينة؟

ولكن، من ذلك الجريء الذى يستطيع أن يقول إنه يراها؟

يا للحياة المليئة بالشر! ويا للضياح حين يغمض

الناس أبصارهم عن ذلك السلوك المعيب!

الفصل الثالث

المنظر السابع

قلعة باينارد

(يدخل جلوستر وبكنجهام من بابين مختلفين)

جلوستر : والآن يا سيدى، ماذا قال أهل المدينة،

وقدسية أم سيدنا المسيح؟

بكنجهام : لقد لزموا الصمت. ولم ينطقوا بكلمة واحدة.

جلوستر : هل أشرت إلى الشك فى نسب أبناء إدورد؟

بكنجهام : أجل - وأشرت إلى عقد زواجه السابق على السيدة

لوسى^(١)

٥

والى عقد زواج وهو بفرنسا بالتفويض،

والى شهواته النهممة التى لا تشبع،

واغتصابه نساء المدينة؛

والى ما كان يأخذ الناس به من ظلم، من أجل أشياء صغيرة تافهة،

والى نسبه هو الزائف، إذ كان قد ولد وأبوك فى فرنسا؛

١٠

وأشرت إلى أن ملامحه لا تشبه ملامح أبيك الدوق:

ثم ذكرت أن قسماتك أنت،

تشبه قسمات أبيك كل الشبه؛

وأنتك مثله فى مظهرك ومخبرك النبيل.

وأشدت بجميع انتصاراتك فى اسكتلاندا

وحزمك فى الحرب، وحكمتك فى السلم،

وكرمك وما تتحلى به من فضيلة وتواضعك الجميل،

والحق أنى لم أترك شيئاً يخدم غايتك

إلا ذكرته أو أشرت إليه.

وحين فرغت من خطبتى؛

طلبت إلى كل من يخلص لوطنه الحب،

أن يهتف: عاش رتشارد ملك إنجلترا

جلوستر

: وهل هتفوا؟

بكنجهام

: لا والله! ما نطقوا بكلمة واحدة!

بل، نظر بعضهم إلى بعض، فى صمت، وقد عراهم

شحوب بالغ.

كأنهم تماثيل خرساء، أو صخور تتنفس،

فلما رأيت ذلك منهم، وجهت إليهم اللوم،

وسألت العمدة عن سر ذلك الصمت العنيد؛

فأجابنى بأنهم لم يتعودوا أن يتحدث إليهم أحد

فى تلك الأمور، غير مسجل الندوة.

فطلبت إليه أن يعيد عليهم قولى، ففعل،

فكان يردد القول "هكذا تحدث الدوق وهكذا قال"

ولم يزد شيئاً واحداً من عنده تصديقاً لذلك

ولما فرغ من خطابه قذف بعض أتباعى

فى آخر القاعة بقبعاتهم فى الهواء،

وصاح ما يقرب من عشرة رجال. حفظ الله الملك رتشارد!

فانتهزت هتاف هذه الفئة القليلة،

وقلت: "شكرًا لكم، أيها المواطنون والأصدقاء الأعزاء،

"عن هذا الاستحسان العام، وتلك الهتافات المستبشرة التي انبعثت منكم جميعًا.

لبرهان على حصافتكم وحبكم لرتشارد."

٤٠

وعند ذلك غادرت الاجتماع وجئت إلى هنا.

: يا لهم من أحجار خرس! أهكذا أبوا أن ينطقوا؟

جلوستر

: أجل، وأيم الحق، يا سيدى اللورد.

بكنجهام

: ألن يحضر العمدة ورفاقه إذن؟

جلوستر

: إنه هنا قريب - والآن يا سيدى اللورد الكريم

بكنجهام

فلتتظاهر بشيء من الخوف،

٤٥

وبأنك غير راغب فى الحديث إلا برجاء وإلحاح.

ولتحمل فى يدك كتابًا من كتب الصلوات،

ولتقف بين رجلين من رجال الدين،

فسأصنع من تلك النعمة لحنا رائعًا مقدسًا.

ولا تجب سؤلنا فى يسر؛ بل كن كالعذراء لا تحيب

٥٠

إلا ب "لا"، وهكذا يتم لك الأمر.

: سأذهب - وإذا استطعت أن تلح فى سؤلى بالنيابة عنهم

جلوستر

كما سألح فى الرفض،

فلا شك أننا سننجح فى تدبيرنا.

: هيا - اذهب إلى الفناء فإن العمدة يدق الباب

٥٥ بكنجهام

(يدخل العمدة وبعض المواطنين الفناء)

مرحبًا يا سيدى اللورد - إنى ما زلت فى الانتظار هنا.
يظهر أن الدوق لا ريب أن يتحدث إليه أحد فى ذلك الأمر.

(يدخل كاتسبى)

كاتسبى، ما رأى مولاك اللورد فيما سألت؟

٥٩ كاتسبى : إنه يرج عظمته، يا سيدى اللورد الكريم،

٦٠ أن تزوره غدًا أو بعد غد.

فإنه فى الداخل بصبّة اثنين من آباء الكنيسة الأجلاء؛

يقضون الوقت فى الصلاة والتأمل.

ولا يستطيع أن ينصرف عن ذلك العمل المقدس،

إلى التفكير فى أمور الحياة الدنيا.

٦٥ بكنجهام : عد، أيها السيد الطيب كاتسبى، إلى الدوق الجليل،

قل له إننا، أنا والعمدة، وبعض أعوانه،

قد جئنا لنتحدث إلى عظمته

فى أمور خطيرة الشأن،

نتصل بصالحنا جميعًا.

٧٠ كاتسبى : سأنقل إليه من فورى جميع قولك يا سيدى

(يخرج)

بكنجهام : آه - ها! إن هذا الأمر يا سيدى اللورد شىء غير إدورد

إنه لا يقضى نهاره متقلبًا فى فراش الدنس،

بل يقضيه راكعًا يصلى؛

ولا ينفق وقته عابثًا مع بغيين،

بل ينفقه متأملاً مع قسين وعين،

ولا ينام ليزداد جسده المسترخى لحمًا وشحمًا،

ولكن يصلى لتزداد نفسه العاكفة ورعاً وتقوى

يا لحظ إنجلترا السعيد، لو قبل هذا الأمير النقي،

أن يكون ملكاً عليها!

ولكنى أخشى ألا نستطيع حقاً إقناعه بالقبول.

: لا قدر الله أن يرفض!

: أخشى أن يفعل. ها هو ذا كاتسبى قد أقبل ثانية.

(يعود كاتسبى)

ما قول عظمته الآن يا كاتسبى؟

: إنه يعجب لماذا جمعت هذا الحشد

من أهل المدينة ليتحدثوا إليه،

دون أن تحيطوه علماً بذلك من قبل؟

وهو يخشى يا سيدى اللورد أنك لا تقصد خيراً.

: إنه ليحزننى أن يظن ابن عمى النبيل،

أنى لا اقصد خيراً،

فو الله ما جئت إلا بدافع من حبى البالغ له.

فعد إليه، وبلغه ما أقول.

(يدخل كاتسبى عليه مرة أخرى)

حين يمسك الأتقياء بمسبحاتهم

يصبح صرفهم عنها أمراً عسيراً.

كم هو جميل أن يستغرق المرء فى التأملات الحارة!

(يدخل جلوستر منتصب القامة بين أسقفين ويعود كاتسبى)

٩٥ العمدة

: انظر كيف يسير بين اثنين من رجال الدين.

بكنجهام

: إنهما، لأمير مسيحي، عمادان من الفضيلة

يعصمانه من السقوط فى مهاوى الغرور،

انظر! إن فى يده كتاب صلاة!

إنها أمور تزين حقيقة الرجل التقى.

١٠٠

أيها الأمير النابه الأجل من آل بلانتاجنت!

أعر سؤلنا أذنا صاغية،

واغفر لنا إخراجنا إياك من صلاتك وعكوفك

الذى هو شيمة المسيحي التقى.

جلوستر

: لا حاجة بكم إلى الاعتذار، يا سيدى اللورد،

١٠٥

بل ن على أنا أن أطلب إليكم الصفح.

إذ تأخرت فى الخروج إلى أصدقائى،

لأنصرفى إلى عبادة الله.

وبعد، فماذا تحبون أن تقولوا لى.

بكنجهام

: ما يرضى الله فى علاه،

ويرضى الأخيار جميعًا من أهل الجزيرة التى

لا حاكم الآن لها.

١١٠

: أخشى أن أكون قد اقترفت ذنبا

جلوستر

أسخط أهل المدينة،

فجئتم تتعون على جهالتى.

بكنجهام

: لقد اقترفت ذنبًا، يا سيدى اللورد، ونرجو أن تستجيب، عظمتك،

: لا كنت مسيحياً إن لم أفعّل.

: إذن فاعلم أن ذنبك

أنتك تتخلى عن المنصب السامى؛

والعرش الجليل، وصولجان أسلافك،

والمكانة التى منحها إياك حظك، وجعلها من حقك نسبك،

ومجد آبائك، وبيتك الملكى؛

تتخلى عن ذلك كله ليفسد فيه بيت غير صحيح النسب؛

وتستغرق أنت فى سبات أفكارك الطيبة،

التى جئنا نوقظك منها، لخير هذه البلاد.

بينما تحتاج هذه الجزيرة المجيدة إلى سواعد أبنائها

الصادقين،

بعد أن شوهت وجهها جراح العار، واختلطت

شجرة أسرتها الملكية بأشجار خشنة،

وكادت تهوى فى هوة مخيفة من النسيان الأعمى

والخفاء الحالك.

لذلك نسألك الآن، من قلوبنا،

أن تتقدم - لكى تنقذها - فتحمل العبء

وتقوم بحكم بلادك هذه،

لا وصيان لا قيماً، ولا نائباً،

ولا وسيطاً قليل الشأن يخر إنسان آخر،

ولكن ملكاً يحكم دولته

بحق وراثته الملك كابرًا عن كابر،

وبحق مولده وبحق دولته، وبحقه على نفسه.

فى سبيل هذه الغاية

جئت أستنهض عظمتك،

يستحشى إلى ذلك استحثاً هؤلاء المواطنين،

وأصدقائك هؤلاء المحبون المخلصون.

: لست أدرى أنصرف فى سكون

جلوس

أم أتكلم فأوجه إليك اللوم المرير.

أقول ما يلائم شعورى أو يلائمك؟

فريما ظننت أن لم أجبك أن الطموح قد عقد لسانى

وإننى بسكوتى قد سلمت.

بأن أحمل نير الملكية الذهبى،

الذى تتوق نفسك إلى أن تضعه على عاتقى،

وإن وجهت إليك اللوم لمطلبك هذا

الممزوج بحبك وولائك لى،

فريما ساء ذلك أصدقائى من ناحية أخرى.

لذلك سأتلكم حتى لا تظن بى أول الأمرين،

وسأتكلم على نحو يجنبنى ثانيهما؛

فأقول فى صراحة

إن حبك لى يستحق شكرى.

ولكن قدرى المتواضع يأبى أن أجيبك إلى مطلبك الخطير.

فلو أن جميع العقبات قد ذلت،

وغدا طريقى سهلاً ممهداً إلى التاج،

الذى يواتينى بفضل نضوج سنى،

ونضوج رأى، وبحكم مولدى؛

فإن لخير لى، أنا الضعيف الهمة العظيم النقائض،

١٦٠

أن أتوارى عن الطريق الذى يؤدى إلى العظمة،

من أن أشتهى أن أتوارى بعد أن أظفر بها وأختنق

فى غبار مجدى.

فلست إلا زورقاً لا يستطيع أن يحتل عباب المحيط الزاخر.

على أنى اشكر الله إذ لا حاجة بكم إلى؛

وليس لى من القدرة ما أعينكم به، إن طلبتم عونى،

١٦٥

فإن الشجرة الملكية قد تركت لنا ثمرة طيبة،

سينضجها مر الزمن السريع،

فيصبح أهلاً للعرش الجليل

ويسعدنا بحكمة دون ريب.

فعليه ألقى ذلك العبء الذى أردتم إلقاءه على.

١٧٠

فإنه من حقه، وحق طالعه السعيد،

فلا قدر الله أن أغتصبه من يديه!

بكنجهام : سيدى اللورد، ذلك برهان على ما لعظمتك من ضمير حى.

ولكن تلك الأسباب التى أشرت إليها تافهة،

غير جديرة بالتقدير، إذا تدبرنا جميع الظروف.

١٧٥

إنك تقول إن إدورد^(١) ابن أخيك

(١) الأمير الصغير ولى العهد.

وكذلك نقول، ولكن ليس من زواج إدورد ^(١)

فإن أخاك كان قد خطب السيدة لوسى فى مبدأ الأمر،
ولا تزال أمك على قيد الحياة، تشهد على ذلك العهد.

ثم إنه خطب بعد ذلك - بالتوكيل -

١٨٠

"بونا" ^(٢) أخت ملك فرنسا.

ثم تحول عنهما إلى من ليست كفؤا له،

إلى أرملة كئيبة وأم لأطفال عدة

قد أبلتها الهموم، أشرف جمالها، على الأفول

استطاعت وهى فى خريف شبابها،

١٨٥

أن تأسر عينيه المفعمتين بالشهوة؛

وأن تنزل بطموحه من عليائه،

إلى درك زواج مهين غير شرعى ^(٣)؛

وبهذا الزواج غير المشروع أنجبت له إدورد هذا؛

الذى يأبى لنا حسن الخلق إلا أن نسميه أميرًا.

١٩٠

ولولا إجلالى لبعض الأحياء ^(٤)

لأطلقت للسانى العنان،

وأفضت فى الأمر على نحو أعنف.

لذلك أسألك، يا سيدى اللورد الكريم، أن تقبل هذا المنصب الجليل

(١) والده الملك إدورد الرابع.

(٢) بونا. Bona

(٣) كان الزواج من أرملة يعد غير شرعى.

(٤) يعنى أم الملك إدورد وهى كذلك أم دوق جلستر.

إن لم يكن لخيرنا وخير هذه البلاد،
فلكى ترفع نسبك النبيل من وهدة الفساد
التي دفعه إليها هذا الزمان الذميم؛
ليعود نسبا صحيحًا صادقًا.

العمدة

: اقبل، يا سيدى اللورد الكريم، فإن أبناء وطنك
يتوسلون إليك.

٢٠٠

بكنجهام

: لا ترفض ما نبذل لك من ولاء، أيها المولى الجليل.

كاتسبى

: أحب سؤلهم الحق، وأدخل السعادة إلى نفوسهم.

جلوستر

: يا ويلتنا! لم تلقون هذه الهموم على عاتقى

ولست أصلح للحكم والملك،

٢٠٥

سألتكم ألا يسوؤكم ما أقول،

ولكنى لا أستطيع، ولن أستطيع أن أستجيب لكم.

بكنجهام

: قد ترفض لأننا نعلم أنك تحب ابن أخيك الصغير أصدق الحب،

وتأبى أن تنتزعه من العرش

٢١٠

ونعلم رقة قلبك،

وما فى نفسك من رحمة حانية،

نحو ذوى قرباك،

بل نحو الناس جميعًا على السواء؛

ولكن سواء أجبت دعوتنا أو رفضتها،

فإن ابن أخيك لن يكون ملكًا علينا.

٢١٥

فسنقيم على العرش شخصًا آخر،

وسيقضى ذلك على بيتكم، ويجلله بالعار.
وعلى هذا العزم سنخرج الآن من عندك.
هيا أيها المواطنون، فو الله لن أتوسل أكثر مما فعلت.

جلوستر : لا تقسم يا سيدى اللورد بكنجهام.
(يخرج بكنجهام مع أهل المدينة)

٢٢٠ كاتسبى : ناده ثانية يا سيدى الأمير الكريم، وأقبل دعوتهم.
فلتفعل يا سيدى حتى لا تحزن البلاد جميعها.

جلوستر : أتضطرونى إلى حياة مليئة بالهموم؟
إذن، فادعوهم ثانية، فإنى لم أقد من صخر،
وقد نفذت توسلاتكم إلى قلبى،

٢٢٥ رغم ما أجده من ضمير وروحى من سخط.
(يعود بكنجهام ومن معه)

يا ابن العم بكنجهام، وأنتم أيها الرجال الحكماء الحازمون،
ما دمتم تأبون إلا أن تضعوا
نير المجد الثقيل على كاهلى، رضيت أو لم أرض،
فسأنتقدم لكى أحمله فى صبر.

٢٣٠ وأرجو أن يبرئنى إجباركم إياى،
من كل ما يمكن أن يدنس صفحتى أو يصمنى به
الناس من تأمر؛

إن لحقنى الفضيحة النكراء من جراء ذلكن
أو أطل على اللوم بوجهه الشائه.
فالله يعلم - وأنتم قد ترون -

٢٣٥ ألا رغبة لى فى ذلك المنصب.

العمدة : بارك الله فى عظمتك! لقد رأينا وسنتحدث بما رأينا.

جلوستر : ولن يكون حديث هذا إلا الحق.

بكنجهام : إذن فإنى أحييك بتحية الملك:

عاش رتشارد ملك إنجلترا

٢٤٠ الجميع : آمين

بكنجهام : أتوافق على أن تتوج غداً؟

جلوستر : متى تشاءون ما دمتم تريدون ذلك.

بكنجهام : إذن فسنجىء إلى عظمتك غداً.

أما الآن فإننا وقد استخفنا السرور نستأذن فى الانصراف.

٢٤٥ جلوستر : هيا - ولنعد نحن إلى صلاتنا المقدسة.

إلى اللقاء يا ابن العم. إلى اللقاء أيها الأصدقاء

(يذهبون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

أمام البرج

(تدخل من ناحية الملكة إلزابث ودوقة يورك والمركيز دورست. وتدخل من ناحية أخرى أن دوقة جلوستر ومعها مرجريت بلانتاجنت ابنة كلارنس الصغيرة).

الدوقة : من تلقى هنا؟ حفيدتى بلانتاجنت
فى يد عمتها الرعوف دوقة جلوستر؟
تالله إنها لذهابة إلى البرج
يدفعها حب قلبها الطاهر إلى زيارة الأميرين.
مرحبًا بك يا ابنتى.

آن : أسعد الله صباحكما وطاب وقتكما
الملكة إلزابث : سعد صباحك يا أختى العزيزة! إلى أين؟
آن : إلى البرج وأظنكم ذاهبون مثلنا
لزيارة الأميرين،

١٠ : يدفعكم الإخلاص كما يدفعنا
الملكة إلزابث : شكرًا لك يا أختى العزيزة سندخل جميعًا معًا
(يقبل براكنبرى من البرج)
ها قد جاء رئيس الحرس فى وقت حاجتنا إليه.
ما أخبار الأمير وابنى الصغير يورك
إن أذنت لى أن أسألك أيها الرئيس؟

١٥ براكنبرى : بخير يا مولاتى العزيزة. وأرجو أن تعذرني

إن لم أستطع السماح لك بزيارتهم.
فقد أمرنى الملك أمرا قاطعاً ألا افعل.

الملكة إلزابث : الملك! من يكون هذا؟

براكنبرى : معذرة لقد عنيت اللورد الوصى.

٢٠ الملكة إلزابث : لا قدر الله له هذا القلب الملكى!

أو قد أقام الحدود بين حبهما وبينى؟

إنى أمهما. منذ الذى يستطيع أن يحول بينى وبينهما؟

الدرقة : وأنا أم أبيهما. ولا بد أن أراهما.

آن : وأنا عمتهم بالنسب وأمهما بالحب.

٢٥ فاذهب بى إليهما وسأحمل عنك اللوم

ووزر تخليك عن عمك.

براكنبرى : لا يا سيدتى لا - لن أتخلى عنه على هذا النحو،

فقد أقسمت يميناً على الطاعة، وأرجو المعذرة

(يمضى إلى الداخل)

(يقف لورد ستانلى)

ستانلى

: سيداتى - إن لقيتكن بعد ساعة واحدة،

٣٠

فسأهنى دوقه يورك بما عاشت

لترى كنيتهما كلتيهما ملكتين جميلتين،

(إلى آن) - هيا يا سيدتى إل وستمنستر

لنتوجى هناك ملكة مع زوجك رتشارد.

الملكة إلزابث

: أواه! فلينشق ثوبى عن صدرى

٣٥

لكى يجد قلبى متنفساً لضرباته،

وإلا فقدت وعيى لهذا النبأ القاتل.

آن

: يا لها من أخبار بغیضة أليمة!

دورست

: لا تستسلما لليأس. كيف تجدينك يا أماه؟

الملكة إلزابث

: دورست، لا تخاطبنى. ابتعد عن هذا المكان

٤٠

فإن الموت والدمار يتبعانك،

واسم أمك شؤم على أبنائها.

وإن فت الموت فأعبر البحر

وعش مع ريتشموند بعداً عن قبضة الجحيم:

هيا، انج بنفسك. انج من هذا المجزر

٤٥

حتى لا يزيد بك عدد الموتى،

فتظفر بى لعنة مارجريت

وأموت لا أما ولا زوجاً ولا ملكة من ملكات إنجلترا.

ستانلى

: تلك نصيحة سديدة يا مولاتى.

(إلى دورست) هيا لا تضع وقتًا، وسأكتب إلى ولدى ^(١)

٥٠

ليلفأك فى طريقك ويرحب بكن
فلا تبطئ واحذر عواقب التأخير.

الدوقة

: أى ريح الشقاء المشؤومة،

أى رهمى الرحيم يا مهد الموت،
لقد أخرجت إلى الحياة أفعوانا،

٥٥

تقضى عيناه القاتلتان على من ينظر إليهما.

ستانلى

: هى يا سيدتى، هيا

فقد أمرت أن أعود بك على عجل

آن

: سأذهب راغمة كارهة.

وددت لو جعل الله تلك الحلقة الآسرة من الذهب
تلك التى ستطوق جبينى حديدًا متوهجًا يشوى رأسى
حتى الصميم

٦٠

وددت لو نضجت بسم قاتل بدلاً من الزيت المقدس
فأموت قبل أن يقول الناس: عاشت الملكة!

الملكة إلزابث

: اذهبي، اذهبي أيتها البائسة فما أنفس عليك مجدك،
وليس عليك أن تتمنى لنفسك مجارة لى.

٦٥ آن

: ولم لا؟ لقد كنت أسير وراء جثمان هنرى

حين جاءنى من هو الآن زوجى،

(١) ريشتموند ولد زوجه وولده بحكم العرف الإنجليزى.

ولما تكد الدماء تزول عن يديهن

تلك الدماء التى فاضت من زوجى الآخر الطاهر،

ومن ذلك القديس الغالى الذى كنت حينئذ

أسير باكية وراء جثمانه. وحين رأيت وجهه

٧٠

استنزلت عليه اللعنات قائلة:

"قلتلك عليك اللعنة كما جعلتتى

أرملة فى ريعان شبابى،

وإذا ما تزوجت فليلازم الحزن فراشك،

ولتشق زوجك معك - إن وجدت من ترضى بك -

٧٥

كما أشقيني بموت زوجى العزيز "

ولكن سرعان ما أسرت كلماته المعسولة

قلب المرأة الغر؛

ولما استنزل عليه اللعنة مرة أخرى.

وهكذا حققت على لعنتى...

٨٠

فلم يغمض لى جفن بعد ذلك؛

ولم تهبط على فراسته ساعة واحدة

من ندى النوم الذهبى،

بل ظل يؤرقنى بما كان ينتابه من أحلام مفزعة

وهو إلى ذلك يبغضنى من أجل أبى وريك،

٨٥

ولا ريب أنه سيتخلص منى سريعاً.

: وداعاً أيتها المسكينة! إننى أرثى لبلواك.

الملكة إلزابث

: إن حزنى لمصيبتك لا يقل عن رثائك لى.

آن

الملكة إلزابث

: وداعًا يا من تستقبل المجد بالحزن والأسى!

٩٠ آن

: وداعًا أيتها المسكينة يا من هجرها المجد!

الدوقة

: (إلى دورست) - اذهب على رتشموند - صحبك اليمن!

(إلى آن) - واذهبى أنت إلى رتشارد - رعتك الملائكة!

(إلى الملكة إلزابث) واذهبى أنت إلى حمى الكنيسة

أنزل الله على نفسك السكينة!

أما أنا فساذهب إلى قبرى حيث يرقد معى السلام والطمأنينة!

٩٥

لقد شهدت ثمانين عامًا نكراء من الأحزان^(١)

وقاسيت لقاء كل ساعة من الفرح سبعة أيام من الحزن.

الملكة إلزابث

: ابقى قليلاً، وألقى نظرة معى إلى البرج.

أيتها الأحجار العتيقة ارحمى هذين الطفلين الرقيقين

الذين ألقى بهما الحسد والبغضاء بين أسوارك!

١٠٠

أيها المهد الخشن لهذين الجميلين،

أيتها الحاضنة الغليظة.

أيها الرفيق العبوس للأميرين الغضين، رفقا بولدى!

والآن أستودعك الله فى أسى وإله أيتها الأحجار العتيقة

(تخرجان)

(١) عاشت الدوقة يورك ثمانية وستين عامًا ليس غير ولكن أحزان الموقف تنسى الدقة التاريخية.

الفصل الرابع

المنظر الثانى

لندن - القصر

(صوت أبواق - يدخل رتشارد فى أبهة الملك وعلى رأسه التاج ومعه بكنجهام وكاتسبى ووصيف وآخرون)

- الملك رتشارد : ابتعدوا جميعًا - بكنجهام يا ابن العم!
- بكنجهام : مليكى الجليل!
- الملك رتشارد : أعطنى يدك (يصعد على العرش) بفضلك أرقى هذا المجلس السامى وبعونك يجلس الملك رتشارد على العرش.
- ٥ ولكن ترى أيعيش هذا المجد يومًا واحدًا؟
أم يدوم ونسعد به؟
- بكنجهام : ليعش هذا المجد وليدم إلى الأبد!
- الملك رتشارد : أى بكنجهام، الآن امتحن معدنك لأرى إن كان حقًا من الذهب.
إن إدورد الصغير ما زال على قيد الحياة.
١٠ أتستطيع أن تحدد ما أريد أن أقول؟
- بكنجهام : فلتقله يا مولاي العزيز.
- الملك رتشارد : عجبًا يا بكنجهام أقول إنى أريد أن أكون مكا.
- بكنجهام : ولكنك ملك يا مولاي الأجل!

- الملك رتشارد : ها! أنا ملك؟ أجل، ولكن إدورد ما زال حيًا.
- ١٥ بكنجهام : أميرًا نبيلًا مخلصًا.
- الملك رتشارد : يا له من نذير شؤم أن يظل إدورد حيًا "أميرًا نبيلًا مخلصًا"
- يا ابن العم إنك لم تعودنى أن تكون هكذا بطئ الفهم؟ أنتحدث
بجلاء؟
- إني أريد أن يموت ولد الزنا هذان،
وأحب أن يتم ذلك سريعًا؛ فماذا تقول الآن؟
- ٢٠ هيا - تكلم سريعًا ولا تبطئ.
- بكنجهام : تستطيع جلالتك أن تفعل ما تحب.
- الملك رتشارد : صه صه. إنك بارد كالتنج. إن ودك قد تجمد. قل، أتوافق على
أن يموتا؟
- بكنجهام : مولاي العزيز، أعطني متنفسًا من الوقت،
مهلة قصيرة قبل أن أجيب إجابة حاسمة عن هذا السؤال.
- ٢٥ وسأنبئ جلالتك سريعًا برأى.
- (يخرج)
- كاتسبى : (إلى أحد الحضور على انفراد) إن الملك غاضب. انظر كيف
يعض شفته.
- الملك رتشارد : سأشاور القساة من الحمقى.
والمندفعين من الرجال، (يهبط من عرشه)
- ٣٠ فليس لى شأن بأصحاب التبصر والرواية:
لقد أصبح بكنجهام البعيد الأطماع حريصًا مترددًا
يا غلام

الوصيف

: يا مولاي؟

الملك رتشارد

: أو تعرف أحدًا يستطيع بريق الذهب

٣٥

أن يغريه بارتكاب - جريمة قتل في الخفاء؟

الوصيف

: أعرف يا مولاي سيدا ساخطًا،

من أولئك الذين لا يتناسب فقرهم وما لديهم من طموح،

ولاشك أن الذهب سيكون عنده ابلغ من عشرين خطيبًا،

وسيعريه بأن يفعل أى شىء.

الملك رتشارد

: ما اسمه؟

٤٠ الوصيف

: اسمه، يا مولاي، تيرل.

الملك رتشارد

: لقد سمعت عنه - اذهب إلى هنا يا غلام.

(يخرج الوصيف)

لن يكون بكنجهام الأريب الماكر

مشيرى بعد الآن.

أو قد طال نضاله من أجلى إلى هذا الحد

٤٥

حتى يطلب الآن متنفسًا. فليكن!

(يدخل ستانلى)

ما وراءك يا لورد ستانلى!

ستانلى

: سمعت يا مولاي العزيز

أن المركزى دورست قد فر إلى ريتشموند

حيث يقيم فى الجانب الآخر من البحر.

(يقف جانبًا)

٥٠ الملك رتشارد

: ادن منى يا كاتسبى، أذع فى الناس

أن زوجى آن مريضة، مشرفة على الموت.

سآمر ألا يزروها أحد،

ثم أبحث لى رجل مسكين حامل النسب،

لأزوجه فى الحال من ابنة كلارنس،

أما ولده فإنه أحرق لا أخشى منه شرًا.

٥٥

مالك تقف هكذا كالخالم؟ هأنذا أكرر

ما قلته لك،

أذع إن زوجى مريضة مشرفة على الموت

هيا! فإنى مهتم بأن أحطم كل أمل

فى أن يلحق بى ضر فى المستقبل. (كاتسبى يخرج مسرعًا)

ولابد لى أن أتزوج ابنة أخى

٦٠

وإلا فسيظل ملكى مستقرًا على زجاج هش

اقتل أخويها ثم أتزوجها!

يا لها من سبيل إلى الظفر محفوفة بالمخاوف!

ولكنى قد انغمست الآن فى الدماء

ولابد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة،

٦٥

ولا مكان لدموع الرحمة فى عيني.

(يعود الوصيف مع تيرل)

أو اسمك تيرل؟

تيرل

: جيمز تيرل - خادمك المطيع

: أحقًا أنت كذلك؟

الملك رتشارد

تيرل

: اختبرنى يا مولاي الكريم.

الملك رتشارد

: أتعرو أن تقتل أحد أصدقائي؟

٧٠ تيرل

: إني لأؤثر في سبيل مرضاتك أن أقتل اثنين من أعدائك.

الملك رتشارد

: لقد نطقت بما في نفسي - عدون لدودان

يقضان راحتى ويزعجان نومى الهادئ

وهما اللذان أريد منك أن تقتلهما يا تيرل.

أعنى ولدى الزنا هذين اللذين يقيمان فى البرج.

٧٥ تيرل

: دعنى أدخل إليهما.

فأجنبك سريعاً مخافتهما.

الملك رتشارد

: إن حديثك كالغناء العذب - اسمع، ادن منى يا تيرل

خذ هذا الإذن منى هيا واعرنى سمعك،

(يهمس إليه)

هذا كل ما هناك. قل إنك ستفعل،

أكافئك بمودتى ومال.

سأفعل يا مولاي فى الحال.

الملك رتشارد

: أنسمع خبراً منك يا تيرل قبل أن نأوى إلى الفراش؟

٨٠ تيرل

: أجل يا مولاي.

(يخرج) (يعود بكنجهام)

بكنجهام

: مولاي - لقد فكرت فيما عرضته على أخيراً.

الملك رتشارد

: دعك منه - لقد فر دورست إلى ريتشموند.

٨٥ بكنجهام

: لقد سمعت بالنبأ يا مولاي.

- الملك رتشارد : إنه ريتشموند ابن زوجك يا ستانلى فتدبر الأمر.
- بكنجهام : مولاي- إني أطلب مكافأتى:
- التي أقسمت بالله وبشرفك أن تكون لى:
- ولاية هيرفورد ومتاع الملك
- الذى وعدتني به.
- ٩٠
- الملك رتشارد : راقب زوجك يا ستانلى
- فستكون مسئولاً إن هى كتبت إلى ريتشموند.
- بكنجهام : ماذا تقول جلالتك فى مطلبى العادل؟
- الملك رتشارد : إني أذكر أن هنرى السادس
- قد تنبأ لريتشموند،
- ٩٥
- هو بعد طفل ساذج، أنه سيصير ملكاً
- ملكاً! ربما.. ربما
- بكنجهام : مولاي!
- المرتشاد : كيف لم يستطع ذلك المتنبئ أن يتنبأ لى
- ١٠٠
- وقد كنت حاضراً؟ إني سأقتله.
- بكنجهام : مولاي، وعدك بلقب الولاية..
- الملك رتشارد : ريتشموند! حين كنت آخر مرة فى إكستر
- أراد العمدة أن يختفى بى فأرانى القصر وقال إن اسمه
- "روحمونت"
- وقد فزعت حين سمعت هذا الاسم
- ١٠٥
- إذ كان عراف أيرلندى قد أنبأنى ذات مرة؛

أنى لن أعيش طويلاً بعد أن أرى ريتشموند.

بكنجهام : مولاي

الملك رتشارد : نعم - كم الساعة؟

بكنجهام : إني أجرؤ فأذكر جلالتك

بوعذك الذى وعدتني

١١٠ الملك رتشارد : نعم، لكن كم الساعة؟

بكنجهام : توشك أن تدق العاشرة.

الملك رتشارد : لم تقول هذا؟

الملك رتشارد : لأنك، كشخص الساعة، تدأب على التأرجح

بين توسك وما أنا مستغرق فيه من التفكير.

١١٥ وليس بى اليوم رغبة فى العطاء.

بكنجهام : فهلا تفضلت فأرحت بالى وأجبتنى إلى طلبى.

الملك رتشارد : إنك تضايقنى. ليس بى اليوم رغبة. (يخرج الجمع ما عدا بكنجهام)

بكنجهام : أهكذا - يخزنى عن خدماتى المخلصة بمثل هذا الازدراء؟

ألهذا جعلته ملكاً؟

١٢٠ فليكن لى عبرة فى مصرع هيستجز ولأرحل إلى

"بركنكوك"^(١)

قبل أن يهوى رأسى الملء بالمخاوف.

(يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

المنظر نفسه

(يدخل تيرل)

تيرل

: لقد تمت الفعلة الأثيمة،

أبشع ما اقترفته هذه اليد

من مذابح مفجعة،

لقد بكى ديتون وفورست

٥

اللذان عهدت إليهما اقتراف تلك المجزرة الفظيعة؛

بكيا كالأطفال، وذابا من الرحمة والعطف،

وهما يقصان على ما فلا.

رغم أنهما وغدان ضاريان ككلاب الصيد.

"وقال ديتون: انظر! هكذا كان ينام هذان الطفلان الوديعان"

١٠

الطفلان الوديعان"

"وقال فورست: هكذا، هكذا. متعانقين.

بأذرعهما المرمرية البريئة:

وكانت شفاههما، كوردات أربع على أعوادها،

تقبل كل أختها، وقد خلع الصيف عليها جماله.

وكان على وسادتها كتاب صلاة،

١٥

وقد أوشكت أن أتحوّل عن عزمي،

حين رأيت أحدهما. ولكن يا للشيطان..."

وهنا توقف الشرير

على حين واصل ديتون الحديث قائلاً:

"وهصرنا غصن أكمل ما أبدعته الطبيعة منذ أقدم العصور"

وامتلأت نفساهما بالحسرة والندم،

٢٠

فلم يستطيعا أن يفيضا في الحديث.

وهكذا تركتهما لأحمل النبأ إلى الملك السفاح.

وها هو ذا قد أقبل.

(يدخل الملك رتشارد)

سلامًا أيها الملك

الملك رتشارد : عزيز تيرل! ألدك من الأنباء ما يسعدني؟

٢٥ تيرل : إن كان يسعدك اقتراف ما أمرتني به،

فأنت تستطيع أن تسعد؛ إذ قد تم ما أردت يا مولاي.

الملك يا رتشارد : ولكن هل تحققت بنفسك من موتهما؟

تيرل : أجل يا مولاي

الملك رتشارد : ودفنا يا عزيزي تيرل؟

تيرل : لقد دفنهما قسيس البرج،

٣٠ ولكنى لا أعلم عن يقين كيف ولا أين.

الملك رتشارد : تعال إلى يا تيرل، بعد العشاء

فقص على كيف قتلا،

ولا يخامرك شك فى أنى سأجزيك، وأحقق لك أمانيك.

فإلى اللقاء بعد حين

٣٥ تيرل

: إني لأرجو خاشعاً أن تأذن لي بالخروج.
(يخرج)

الملك رتشارد

: لقد حبست ولد كلارنس بمعزل عن الناس،
وزوجت ابنته، في غير ما تورع، لغير كفاء،
بينما ينام ولدا إدورد في أحضان الموت.
وقد ودعت زوجي أن هذه الحياة الدنيا.

٤٠

والآن فلأذهب إلى ابنة أخي إليزابث الصغيرة
خطيباً موقفاً سعيداً.
فإني أعلم أن ريتشموند - في مقامه ببريتاني -
يفكر في زواجها ليستطيع بهذا الصهر
أن يتطلع في اعتزاز إلى التاج.
(يدخل كاتسبي)

كاتسبي

مولاي

٤٥ الملك رتشارد : بأخبار طيبة، جئت هكذا فجأة، أم بأخبار سيئة؟

كاتسبي

: سيئة يا مولاي. فقد فر "إيلي" إلى ريتشموند،
وعباً بكنجهام قواته، يعينه رجال ويلز الأشداء؛
ولا تزال قوته في ازدياد.

الملك رتشارد

: إن إيلي وريتشموند يثيران قلقي،
أكثر مما يثيره بكنجهام وجيشه، هذا الذي
أعده على عجل.

٥٠

هيا - فإن التدبير الملاء بالجين،
خادم أمين للتسويق الأحمق،

والتسويق يقود إلى العجز يمضى فى بطن كالحفافة.

فلتكن السرعة الخاطفة جناحى؛

سرعة رسول "جوبيتر" لتعلن مقدم الملك!

٥٥

إن درعى هو مشيرى - فهيا اجمع لنا رجالاً،

فما ينبغى أن نضيع وقتاً والخونة فى ساحة المعركة

[يخرجان]

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر

(تدخل الملكة مرجريت)

الملكة مرجريت : الآن أوشكت السعادة أن تبلغ أقصاها،

وتسقط في فم الموت العفن.

لقد تربصت في معتزلى هذا

لأرقب أفول نجم أعدائى.

وهأنذى أشهد البداية المريعة

٥

وسأرحل إلى فرنسا راجية أن تكون الخاتمة مثلها،

مرة سوداء، قاصمة

فلنترحل الآن مرجريت الشقية. من القادم؟

(تدخل الملكة إلزابث ودوقة يورك)

الملكة إلزابث : واحسرتاه على أميرى الصغير! واحسرتاه على طفلى الرقيقين!

يا زهرتى اللتين لم تمهلا حتى تتفتحا، أى برعمى الغضيين!

١٠

إن كان روحًا كما الوديعان لا يزالان يطيران فى الهواء،

قبل أن يدخلوا إلى عالم الموتى الأبدى،

فأخفقا بأجنحتكما اللطيفة من حولى،

واسمعا نواح أمكما

١٥ الملكة مرجريت : أخفقا حولها، وقولا إن القصاص العادل

قد أحال صباحكما الوليد إلى ليل طويل.

الدوقة

: لقد سلبتني المصائب الكثيرة صوتي

حتى خرس لساني الذي أثقله الحزن،

أى إدورد بلانتاجنت، لماذا مت؟

٢٠ الملكة مرجريت

: بلانتاجنت باء بدم بلانتاجنت!

ومات إدورد قصاصاً لموت إدورد.

الملكة إلزابث

: رباه، كيف تخلّيت عن ذينك الحملين الوديعين

ورميت بهما فى أحشاء الذئب؟

متى نمت ، يا رب من قبل لتنام حين اقترف ذلك الإثم؟

٢٥ الملكة مرجريت

: حين قتل هارى الطاهر، وولدى العزيز.

الدوقة

: أيتها العيان الكفيفتان، أيتها الحياة الميتة

يا شبحاً لا يزال يعيش بين الأحياء.

يا صورة البؤس ويا خزي الحياة، ويا من يغتصب بقاؤك على قيد

الحياة من القبر بعض حقه،

٣٠

يا سجلاً دونت فيه أيام الشقاء فى اختصار وغموض،

أريحى نفسك المجهدة على أرض إنجلترا، التى كانت ذات

قانون،،

فأصبحت - رغم القانون - مخمرة بدماء الأبرياء (تجلس)

الملكة إلزابث

: آه أيتها الأرض! لو أنك تقبلين على تهيئة القبور للناس،

إقبالك على تهيئة مجالس الأحران،

إذن لقبرت فيك عظامى، بدلاً من أن أريحها بجلستى هذه،

آه، أين من هو أجدر بالحزن منى!

(تجلس)

الملكة مرجريت : إن كان الحزن أن يستمد من قدمه جلالا يفوق
٣٥ به سائر الأحزان.

فدعى حزنى يأخذ المركز الأول،
لتكن لشكاى المكانة العليا،
وإن كان لحزن أن يجد رفقة فى أحزان الآخرين،
(تجلس معهما)

فانظرا إلى شقاى تجدا فيه شفاءكما.

٤٠ لقد كان لى إدورد ^(١) حتى قتله رتشارد
وكان لك هارى ^(٢) حتى قتله رتشارد
وكان لك إدورد ^(٣) حتى قتله رتشارد
وكان لك رتشارد ^(٤) حتى قتله رتشارد

الدوقة : لقد كان لى أنا كذلك رتشارد فقتلته أنت؛

٤٥ ولا يزال لى " روتلاند " ^(٥) وتأملين أن تقتليه.

الملكة مرجريت : لقد كان لك كذلك كلارنس وقتله رتشارد

لقح حبًا، من حظيرة رحمك،
كلب من كلاب الجحيم، يطاردنا جميعًا حتى الموت.

(١) ابن هنرى السادس.

(٢) هنرى السادس من زوجها.

(٣) إدورد الخامس.

(٤) دوق يورك الصغير.

(٥) روتلاند. Rutland

كلب نمت أنيابه قبل أن تتفتح عيناه،

ليمزق الحملان. ويلعق دماءها البريئة؛

ويشوه ما صنع الله ويدنسه.

جبار فى الأرض تذلل له العيون،

التي قرحها البكاء، مما يجد أصحابها من أسى.

لقد أطلقتك رحمك ليطاردنا إلى قبورنا.

أيها الإله البر، العادل، المنتقم،

كيف أشكرك إذ هيأت الكلب الضامئ إلى الدماء،

لينقض على ما أخرجته رحم أمه من نسل،

فتشارك الآخرين أناتهم!

: أى زوج هارى، لا تفرحى لبلواك،

فإنه يشهد لقد بكيت لبلواك.

: لا تضيقى بى فإنى ظمأى إلى الثأر،

وأنا الآن أتخم نفسى برؤيته.

لقد مات ولدك إدورد الذى طعن إدورد ولدى.

ومات إدوردك الآخر، ليكفر عن موت ولدى إدورد.

ولم يكن يورك الصغير إلا مجرد تكلمة للثأر،

فما كان كلاهما كفوًا لولدى الكامل

ومات كلارنس الذى طعن ولدى إدورد.

أما هيستنجز الفاسق وريفرز وفوجان وجرى،

أولئك الخونة الذين شهدوا تلك المأساة.

فقد ألقى بهم فى ظلمات القبر قبل الأوان.

٥٠

٥٥

الدوقة

٦٠

الملكة مرجريت

٦٥

٧٠

وما زال رتشارد على قيد الحياة، رسولاً للجحيم الأسود،
أبقى عليه ليقبض له الأرواح ويرسلها إلى هناك.
ولكن ما يستحق من نهاية أليمة موجهة، جد قريب.
إن الأرض لتتنشق، والجحيم يتلظى، والشيطان تزار
والقديسين يصلون، ليعجل الله بالقضاء عليه.

٧٥

يا رب يا كريم، إنى أبتهل إليك أن امح حياته
من كتابك حتى أعيش لأقول "لقد مات الكلب"!

: أواه! لقد تنبأت لى بأن سيجيء وقت
أسألك فيه أن تعينينى

الملكة إلزابث

على لعنة تلك العنكبوت المتورمة،
وتلك الضفدع السامة الحذاء

٨٠

: لقد قلت عنك حينئذ إنك مظهر فارغ من عزى،
ودعوتك ظلاً شاحباً ومجرد صورة لملكة،
وخيالاً لما كنته أنا، فى الحقيقة.

الملكة مرجريت

وصفحة براقعة لمجد زائف.

٨٥

وامرأة قذف بها إلى القمة لتسقط إلى الأعماق.
وأما سخر منها القدر فرزقها مجرد وليدين،
حلما من ماضيك،

وهواء، وفقاعة، لها من المجد مجرد الرمز،

وراية مزوقة يسدد كل الرامين سهامهم إليها،

٩٠

وملكة فى مهزلة يتلهى بها الناس على المسرح.

أين زوجك الآن؟ أين إخوتك؟

وأين والدك؟ أين سعادتك؟

أين الذين كانوا يتوددون إليك ويهتفون لك
"عاشت الملكة"؟

٩٥

وأين النبلاء الخاضعون الذين كانوا يتملقونك؟

وأين الجنود التي كانت تتبع ركب؟

تذكرى كل ذلك، وانظري ما أنت عليه الآن

لقد استحلت من زوج سعدية إلى أرمله بئسة كل
البؤس، ومن أم مرحلة إلى امرأة يبكيها تذكر تلك الكلمة،

١٠٠

ومن ملكة إلى أمة تاجها الشقاء

وبعد أن كان الناس يتوسلون إليك، أصبحت تتوسلين في ذلك إلى
الناس

وبعد أن كنت تسخرين مني، تسمعين الآن سخريتي منك.

لقد أصبحت الآن تخشين بعض الناس بعد

أن كان الناس جميعًا يخشونك،

ولم تعد لك طاعة أحد بعد أن كان الجميع طوع أمرك

١٠٥

هكذا دارت عجلة العدالة،

وتركتك مجرد فريسة مسكينة للزمن،

لا تملكين إلا ذكرى ماضيك،

تزيد من عذابك كلما قارنتها بحاضرك.

لقد اغتصبت مكاني، والآن ألتست تريدين

١١٠

أن تغتصبي من حزني ما هو أجل من منزلة كبيرة؟.

الآن يحمل جيدك الصلف نصف نيري الثقيل،

وهأنذا أزيح نصفه الآخر عن جيدي الضعيف

لأترك لك العباء كله.

وداعاً يا زوج يوركن يا ملكة المصائب الأليمة.

لسوف أبسم لهذه الكوارث الإنجليزية فى مقامى بفرنسا.

١١٥

: كم أنت بارعة فى استنزال اللعنات.

الملكة إلزابث

فابقى قليلاً لتعلمينى كيف أستنزله على أعدائى.

: اسهرى الليل وصومى النهار،

الملكة مرجريت

وقارنى بين السعادة التى ماتت، والشقاء الذى ما زال يحيا،

وتخيلى ولديك أجمل مما كانا،

١٢٠

وأن قالتها أشنع مما هو فى الحقيقة،

فإنك حين تعظمين من شأن مصيبتك تزيدين لعنائك سوءا.

وسيعلمك التفكير فى ذلك كيف تستنزلين اللعنات.

: إن كلماتى كليلة فزيديها مضاء وحدة بكلماتك،

الملكة إلزابث

: سيجعلها شقاؤك حادة ماضية مثل كلماتى

١٢٥ الملكة مرجريت

(تخرج)

: لماذا نتشدد بالألفاظ عند حلول المصيبة؟

الدوقة

: إنها هواء ينفس عن أحزان أصحابها،

الدوقة

وورثة الأفراح التى انقضت بلا إرث،

وأنفاس تفصح عما فى نفوسنا من شقاء!

فأفسح المجال لها، فلئن كان ما تقدمه لا غناء فيهن

١٣٠

فإن فيها مع ذلك راحة للقلب.

: إن كان المر على ما تذكرين فلا تحبسى لسانك إذن،

الدوقة

ولتتطلق أنفاسنا معًا بالألفاظ المريرة

لتخنق ولدى الرحيم كما خنق ولدك الجميلين

إنى أسمع دقات طبوله، فأفيضى فى الحديث عن أساك

١٣٥

(يدخل الملك رتشارد يسير على قرع الطبول وصوت الأبواق)

: من يقطع علينا طريقنا؟

الملك رتشارد

: إنها تلك التى كان ينبغى لها أن تقطع عليك الطريق؛

الدوقة

بأن تخنقك فى رحمها الرحيم،

فلا تقترف ما اقترفت من مذابح وتجلب ما جلبت من مأس.

: أتعطى هذا الجبين بتاج ذهبى،

١٤٠ الملكة مرجريت

وكان ينبغى - لو حق الحق - أن يكوى بالنار

لقتلك الأمير الذى كان هذا التاج من حقه،

ولما أنزلت بولدى وإخوتى من ميتة قاسية

نبئنى أيها العبد الآثم - أين ولدائى؟

: أيتها الضفدع، أيتها الضفدع،

١٤٥ الدوقة

أين أخوك كلارنس وابنه الصغير "ند" ^(١) بلانتاجنت؟

: أين ريفرز الوديع، وفاجان، وجرى؟

الملكة إلزابث

: أين هيستجز الرحيم؟

الدوقة

: انفخوا فى أبواقكم يا حملة الأبواق!

الملك رتشارد

ودقوا طبولكم يا حملة الطبول، حتى لا تسمع

السماء تلكما المرأتين النامتين

١٥٠

وهما تحملان على من باركه زيت الله المقدس

قلت لكم انفخوا - دقوا!

(أصوات أبواق وطبول)

إما أن تتجملا بالصبر وتحسنا الحديث إلى،

أو أغرق صيحات شكواكما هكذا فى موسيقى الحرب الصاخبة.

١٥٥ الدوقة : أنت ولدى؟

الملك رتشارد : أجل، بحمد الله. ولد أبى وولدك.

الدوقة : إذن فلتستمع إلى ما يمليه نفاذ صبرى فى شىء من الصبر

الملك رتشارد : سيدتى، إن لى من طبعك نصيباً،

فلست أحتمل وقع التفرع.

الدوقة : أوه! دعنى أتكلم!

١٦٠ : تكلمى إذن فلن أسمع.

الدوقة : سيكون كلامى رقيقاً هادئاً.

وسريعاً يا أمى العزيزة، فإن فى عجلة،

أو أنت فى عجلة؟ يعلم الله،

لقد بقيت طويلاً من أجلك فى عذاب وألم وضنى.

١٦٥ الملك رتشارد : ثم ألم أولد لك فى النهاية لأكون سلوكاً؟

الدوقة : كلا وحق الصليب المقدس. فأنت تعلم، حق العلم،

أنك جئت إلى الأرض لتجعل لى من الأرض جحيماً

لقد كان مولدك عبناً أليماً على،

وكننت فى طفولتك شكساً عنيداً،

١٧٠

وكننت أيام دراستك مخوفاً، نزقاً، عنيفاً، وحشى الطبع،
وفى أيام شبابك مندفعاً مقتحماً مولعاً بالمقامرة،
وفى رجولتك صلفاً، ماركا، مخادعا، محباً للدماء.
ولئن كنت قد أصبحت أكثر رقة، فلقد
أصبحت مع ذلك أكثر إيذاء،

١٧٥

تلقى على بغضائك ستار من الرحمة.
فأى سلوى إذن تستطيع أن تزعم، أنك قد
منحتنى بصحبتك؟

الملك رتشارد

: لعمري! إنها ليست إلا ساعة "همفري" (١)
التي ذهبت فيها لتناول عشاك فحرمت من صحبتى.
إن كانت رؤيتى تسوؤك إلى هذا الحد.

١٨٠

فدعيني أمض حتى لا اسبب لك استياء
أقرعوا الطبول!

الدوقة

: سألتك إلا سمعت كلامى

الملك رتشارد

: إن كلامك ليفيض مرارة

الدوقة

: اسمع منى كلمة واحدة، فلن أتحدث إليك بعدها مرة أخرى.

الملك رتشارد

: هكذا؟

١٨٥ الدوقة

: أجل، فإما أن يقضى عدل الله أن تموت،

(١) اختلف النقاد فى تفسير عبارة ساعة همفري اختلافاً شديداً، والرأى المعقول أن شكسبير استعمل هذه الكتابة البعيدة إشارة إلى أولئك المتسكعين الذين كانوا لا يستطيعون أن يشتروا طعامهم أو يتسولونه فكانوا يتسكعون فى صحن كنيسة القديس بطرس حيث قبر بوشان، الذى آمن العامة أنه قبر همفري. ومن هنا ضرب المثل يتعشون مع دوق همفري.

قبل أن تعود ظافراً من هذه الحرب.

وإما أن يقضى على الحزن والشيخوخة

فلا أنظر إلى وجهك مرة أخرى.

فأحمل معك إذن أشد لعناتي، فتؤودك يوم المعركة

أكثر مما يؤودك كل ما تتدفع به من عدة كاملة.

١٩٠

وستقاتل دعواتي إلى جانب أعدائك،

ويهمس حينئذ روحاً ولدى إدورد الصغيرين،

إلى أرواح خصومك يعدانهم بالنصر والظفر.

إنك سفاح محب للدماء،

وبالدماء ستكون خاتمتك.

١٩٥

لقد كان العار تابعك في حياتك، وسيصيبك ساعة موتك.

(تخرج)

: إن لدى بواعث أقوى لكى أستنزل عليك

الملكة إلزابث

اللعنات، ولكنى مع ذلك أجد بنفس عزوفاً

عنها، فحسبى أن أؤمن على جميع دعواتها

: انتظري يا سيدتى، فلى معك كلمة.

٢٠٠ الملك ريتشارد

(ينتحي بها جانباً)

: إننى لم يعد لى أبناء من دم ملكى لتقتلهم.

الملكة إلزابث

أما بناتى، أى ريتشارد، فسيكن راهبات متبتلات

لا ملكات باقيات، فلا تسدد سهامك لتغتال حياتهن.

: إن لك ابنة طيبة جميلة تدعى إلزابث،

الملك ريتشارد

نبيلة من دم ملكى

٢٠٥

الملكة إلزابث

: أومن أجل هذا يجب أن تموت؟

أواه! دعها تعيش وسأفسد خلقها، وأشوه جمالها،
وأجلل نفسى بالعار، فأزعم أنى خنت فراش إدورد،
وألقى على ابنتى قناعًا من الخزى،
لكى تعيش فى مأمن من المذبحة الدامية.
سأعلن أنها ليست ابنة إدورد.

٢١٠

الملك رتشارد

: لا تظلمى نسبها فإنها من دم ملكى.

الملكة إلزابث

: سأقول إنها ليست كذلك لآمن على حياتها.

الملك رتشارد

: إنما نسبها هو خير أمان لحياتها.

٢١٥ إلزابث

: وبذلك الأمان وحده مات أخوها.

الملك رتشارد

: كلا فقد ولدا فى ساعة نحس.

الملكة إلزابث

: كلا، ولكن أصدقاء الشرك كانوا نحسا عليهما.

الملك رتشارد

: إن القدر المكتوب لا مفر منه.

الملك رتشارد

: ذلك حق حين يكون تجنب الخير هو الذى يملى القدر.

٢٢٠

لقد كان من حق ولدى مينة أكرم من تلك التى لقيها
لو أن الخير منحك حياة أكرم،

الملك رتشارد

: إنك تتحدثين إلى كما لو كنت قد قتلت ابنى أختى!

الملكة إلزابث

: ابنى أختك حقًا! وقد سلهما عمهما

سعادتهما، وملكهما، وقرابتهما، وحياتهما.

لقد كان تدبيرك من وراء تلك اليد التى طعنت

قلبيهما الغضين،

٢٢٥

ولا ريب أن السكن القاتلة

كان كليلة مثلومة،

حتى أرهفت على قلبك الحجرى،

لتعبت فى أحشاء حملى الوديعين.

على أن هذا الحديث المتصل عن الأسى يخفف من ضراوته

ضراوته

٢٣٠

فليسكت لسان عن الحديث، عن ولدى، إلى أذنيك،

على أن تعلق أظافرى بعينيك،

وأندفع فأتكسر بددا على قلبك الصخرى،

كزورق بائس فقد أسبابه، وشراعه،

فى بحر الموت لا منجاة منه.

٢٣٥

: سيدتى، فليكتب الله لى النجاح، فيما أنا مقدم عليهن

الملك رتشارد

من مغامرة خطيرة وحرب دموية،

بقدر ما ابتغى لك ولبناتك من خير،

وأعزف عن أن الحق بكن أى ضر.

: ماذا يمكن أن يخفى وجه السماء من خير.

٢٤٠ الملكة إلزابث

تستطيع أن تكشف عنه لخير؟

: رقى بناتك يا سيدتى العزيزة.

الملك رتشارد

: إلى بعض المشانق حيث تهوى رؤوسهن؟

الملكة إلزابث

: بل إلى العزة، والشرف الرفيع،

الملك رتشارد

وأعلى شارة من شارات المجد فى هذه الأرض.

٢٤٥

الملكة إلزابث : تملق أحزاني إذن وقل لى أى مكانة،
وأى عزة وأى شرف
يمكن أن تمنحه إلى بنت من بناتى؟

الملك رتشارد : كل ما أملك، حتى نفسى،
سأمنحها لإحداهن، ٢٥٠

حتى يغرق، فى بحر النسيان، روحك المغضب
تلك الذكرى الحزينة
لما تعتقدين أنى اقترفته فى حقك.

الملكة إلزابث : عجل إذن، حتى لا يستغرق حديثك عن عطفك،
أكثر مما يمكن أن يستغرق عطفك نفسه. ٢٥٥

الملك رتشارد : إذن فاعلمى أنى أحب ابنتك من كل روحى.

الملكة إلزابث : ولكن أم ابنتى تعتقد من كل روحها
ملذا تعتقدين

الملكة إلزابث : إنك تحب ابنتى حبا

بعيدًا كل البعد عن روحك؛ كما أحببت أخويها،
ومن جل ذلك أشكرك شكرًا بعيدًا كل البعد عن قلبى! ٢٦٠

الملك رتشارد : لا تتعجلى وتسيئى فهم ما عنيت،
لقد عنيت أنى أحب ابنتك بكل روحى،
وأريد أن أجعلها ملكة لإنجلترا.

الملكة إلزابث : إذن فقل لى من هذا الذى تريد أن يكون ملكًا لابنتى؟

الملك رتشارد : ذلك الذى سيجعلها ملكة. ومن غيره؟

- الملكة إلزابث : ماذا! أنت؟
- الملك رتشارد : نعم أنا. فما قولك يا سيدتى؟
- الملكة إلزابث : وكيف تستطيع أن تكسب رضاها؟
- الملك رتشارد : ذلك ما أريد أن أعلمه منك،
فأنت أعرف الناس بطباعها.
- الملكة إلزابث : أتريد حقًا أن تعلم منى؟
- الملك رتشارد : من صميم قلبي يا سيدتى.
- الملكة إلزابث : إذن فأرسل إليها مع قتل أخويها،
قلبين دامين محفورًا على أحدهما
اسم إدورد، وعلى الآخر اسم يورك.
ولعلها تبكى حينئذ. فأرسل إليها منديلًا غمس
فى دم روتلاند،
كما أرسلت مرجريت، ذات مرة، إلى أبيك،
وقل لها إنه أشرب عصارة الحياة الحمراء
من جسد أخيها الجميل،
واسألها أن تجفف به دموعها.
فإن عجز هذا الإغراء عن استمالة قلبها إليك
فأرسل عليها قصة أعمالك المجيدة؛
ابنها أنك قتلت عمها كلارنس،
وخالها ريفرز، أجل، ومن أجلها، عجلت بموت عمتها العزيزة آن
- الملك رتشارد : إنك تهزأين بي. يا سيدتى.

٢٧٥

٢٨٠

٢٨٥

فليست هذه هى الطريقة التى بها أكسب رضى ابنتك.

الملكة إلزابث

: ليست هناك طريقة إنسانًا آخر،

الا ان تصبح انسانا اخر،

٢٩٠

غير رتشارد الذى اقتترف كل هذا.

الملك رتشارد

: سأقول إنى اقترفت كل هذا من أجل حبها،

الملكة إلزابث

: كلا فإنها حينئذ لن تملك حقًا إلا أن تكرهك؛

إذا اشتريت هذا الحب بذلك الإثم الدموى.

الملك رتشارد

: اسمعى إن كان لا يمكن إصلاحه،

٢٩٥

وسیظل الناس يتصرفون أحيانًا فى غير حكمة

ثم يندمون بعد حين على ما فعلوا.

ولئن كنت قد انتزعت الملك من ولدك،

فلأعطينه لابنتك حتى أكفر عما فعلت.

ولئن كنت قد قلت ما أخرجت رحمك،

٣٠٠

فسأنجب أبناءً من ابنتك،

من دمك لأزید من نسلک.

ولیس اسم الجدة، بأقل إثارة للحب.

من اسم الأم الجمیل.

وسیكون أحفادك كأبنائك، وإن جاءوا من نسلک

٣٠٥

وسیرثون عنك طباعك ودمك؛

وسیجىء مولدهم مع ذلك المخاض الأليم نفسه،

وستحتمل ابنك من أجلهم تلك الآلام التى

احتملتھا أنت، عند مولدها.

لقد كان أبنائك مثارًا لمتاعبك فى شبابك،
أما أبنائى فسيكونون عزًا لك فى شيخوختك.

إنك لم تفقدى إلا ابنك الملك،

٣١٠

وبهذا فقد ستصبح أن أعوضك كما أحب،
فاقبلى إذن ما أستطيع أن أمنحك من ود
سيعود ابنك دورست، سريعًا إثر هذه
المصاهرة الجميلة؛

من تلك الأرض الأجنبية، التى يستشعر فيها الخوف،
ويحيا فيها حياة غير راضية،
إلى حيث المناصب العالية والمجد العظيم.
وسيدعوه الملك فى غير كلفة "يا أخى" ^(١)
إذ يدعو ابنتك الجميلة "يا زوجى".

٣١٥

وستكونين أنت مرة أخرى أم الملك ^(٢)

٣٢٠

وتصلح السعادة المضاعفة.

ما وقضته مصائب الزمن.

عجبًا إن أماننا أيامًا كثيرة سعيدة سنشهداها.

وستعود عليك تلك الدموع المسفوحة التى أرقتها

بعد أن تستحيل إلى لآلى من الشرق،

٣٢٥

(١) لأنه أخو زوجه.

(٢) لأنها أم زوجه.

فتكون قد أكسبتك

من السعادة ربحاً مضاعفاً.

اذهبي إذن يا أمها على ابنتك،

اذهبي وانتزعيها، بمالك من تجربة، من شبابها الخجول؛

وهيئ أذنيها لسماع قصة العزل من خطيبها.

٣٣٠

وألقى في قلبها الغض تلك الجدارة المتطلعة إلى الحكم المجيد..

حدثي الأميرة عن متع الزواج،

وما فيه من ساعات حلوة هادئة.

وبعد أن تؤدب ذراعى هذه،

ذلك الثائر الوضيع، بكنجهام، الأحمق؛

٣٢٥

سأعود مكللاً بالغار،

لأفقد ابنتك على فراش الظافر! لا،

وسأقص عليها قصة نصرى،

وستكون هي وحدها المنتصرة، قيصرًا فوق قيصر!

: ماذا أقول: أقول لها جاءك أخو أبيك خاطباً؟

٣٤٠ إلزابيث

أو أقول لها عمك؟

أو أقول لها من قتل أخويك وأخوالك؟

بأى اسم يرضاه الله والقانون والشرف

وما في نفسها من حب،

يمكن أن أغرى شبابها الرقيق بقبولك؟

٣٤٥

: قولى لها إن في تلك المصاهرة سلامة إنجلترا

الملك ريتشارد

: وستشترىها هي بحرب مقيمة أخرى.

الملكة إلزابيث

- الملك رتشارد : قولى لها إن الملك، الذى يستطيع أن يأمر، يتوسل إليك
- الملكة إلزابث : لتفعل ما حرمه ملك الملوك؟
- ٣٥٠ الملك رتشارد : قولى لها أنها ستكون ملكة عظيمة عزيزة.
- الملكة إلزابث : لتبكى هذا اللقب، بعد كما نفعل الآن أمها؟
- الملك رتشارد : قولى لها إنى سأحبها حبا يدوم إلى الأبد.
- الملكة إلزابث : ولكن إلى متى يدوم ذلك اللقب؟
- الملك رتشارد : سيظل يستمد منها جمالاً حتى نهاية حياتها الجميلة.
- ٣٥٥ الملكة إلزابث : ولكن إلى متى تدوم حياها الجميلة؟
- الملك رتشارد : إلى ما شاء الله وشاعت سنة الكون.
- الملك إلزابث : إلى ما شاء الجحيم وشاء رتشارد!
- الملك رتشارد : قولى لها إنى، وأنا ملكها، أعتبر نفسى أحد رعاياها المخلصين.
- الملكة إلزابث : ولكنها - وهى رعيته - تنفر من هذا الملك.
- ٣٦٠ الملك ريتشارد : نمقى لها حديثك عنى.
- الملكة إلزابث : إن قول الحق ينبغى أن يكون بغير تنميق.
- الملك رتشارد : إذن فحدثها بغير تنميق حديث حبى
- الملكة إلزابث : إن قول الحق دون تنميق فيه كثير من القسوة.
- الملك رتشارد : إن حججك ضحلة، متسرفة إلى حد بعيد.
- ٢٦٥ الملكة إلزابث : بل هى عميقة أعظم العمق، ساكنة أعظم السكون،
- كقبر ولدى المسكينين الساكن العميق!

- الملك ريتشارد : لا تضربى على هذا الوتر يا سيدتى، فذلك شىء مضى.
- الملكة إلزابث : بل سأضرب عليه حتى تتقطع أوتار قلبى.
- الملك ريتشارد : بحق القديس جورج وشارة فروسيتى وتاجى...
- ٢٧٠ الملكة إلزابث : لقد دنست الأول، وأخزيت الثانية، واغتصبت الثالث
- الملك ريتشارد : اقسم....
- الملكة إلزابث : لا تقسم شيئاً، إذ ليس هذا بقسم.
- فإن القديس جورج الذى دنسته فقد قداسته،
والشارة التى وصمتها بالخزي، تخلت عن خلال الفروسية الحميدة.
والتاج الذى أغصبته أزرى بجلاله الملكى.
- ٣٧٥ : فإن كان لنا أن نصدق شيئاً نقسم به،
فأقسم بشىء لم يصبه منك أذى.
- الملك ريتشارد : إذن أقسم بنفسى.
- الملكة إلزابث : لقد أسأت إلى نفسك.
- الملك ريتشارد : الآن أقسم بالعالم،
- الملكة إلزابث : الملىء بآثامك الشريرة
- الملك ريتشارد : وممات أبى.
- الملكة إلزابث : لقد جللت حياتك مماته بالعار.
- الملك ريتشارد : إذن أقسم بالله،
- ٣٨٠ الملكة إلزابث : إن أثمك فى حق الله أكبر آثامك.
- فلو خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به

لما أنصدع ذلك الشمل الذى جمعه

أخوك الملك، ولما قتل أخى.

ولو قد خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقمت به

لازدانت وجنتى ولدى الغصتين بذلك التاج

الملكى الذى يزين الآن مفرقك، ولكن الأميرين

لا يزالان هنا، يتنفسان أنفاس الحياة،

بدل أن يكونا - كما هما الآن -

وسادتين رقيق للتراب،

وفريستين للدود، لحنثك بقسمك.

فيم تستطيع أن تقسم الآن؟

٣٨٥

بالمستقبل.

٣٩٠ الملك رتشارد :

الذى أنمت فى حقه بإثمك فى حق الماضى؟ :

الملكة إلزابث

إن دموعى ستظل تذرف فى المستقبل

لما اقترفت من آثام فى ذلك الماضى.

فما زال الأبناء الذين قتلت آباءهم يعيشون،

وسيبكون فى كهوتهم شبابهم المضيع.

٣٩٥

وما زال الآباء الذين قتلت أبناءهم يعيشون،

كالنباتات الشائخة الذابلة.

يبكون مع شيخوختهم مصرع أبنائهم.

فلا تقسم إذن بالمستقبل؛ فقد أسأت إليه.

قبل أن تقدم إليه أى خير، بما اقترفت فى الماضى.

٤٠٠

فليكتب الله لى النجاح فيما أنا مقدم عليه من حرب خطيرة مع :

الملك رتشارد

الأعداء،

بقدر نيتى الصادقة فى التوبة والفلاح.

ولتحل بى اللعنة، ثم لتحل بى اللعنة، وليكتب الله والأقدار على الشقاء،

وليحجب النهار عنى نورهن والليل راحته،

ولتقف كل أبراج النحاس فى سبيل كل عمل آتية،

٤٠٥

إن لم أمنح ابنتك الأميرة الجميلة حبي القلبي،

وإخلاصى الصادق، وودى البرىء!

فهى قوام سعادتى وسعادتك؛

ومن دونها سيحل الموت، والوحشة، والخراب، والدماء،

٤١٠

بهذه الأرض، وبى وبك وبها، وبكثير من المسيحيين الأتقياء.

ولا يمكن اتقاء هذا

إلا بتلك المصاهرة

ولن يتقى من دونها.

لذلك كونى لها يا أماء العزيزة

ولابد أن أدعوك بهذا الاسم - شفيح حبي،

٤١٥

وذكرها بما سأكون، لا بما كنت،

وبما سأكون أهلا له، لا بما أنا أهل له الآن.

بصريها بما نحن فيه من حرج.

وبضرورة هذا الزواج،

ولا تجعلى لحبك الأحق الغلبة على جسام الأمور.

٤٢٠

: أستجيب هكذا لإغراء الشيطان؟

الملكة إلزابيث

- الملك رتشارد : أجل إذا أغرك الشيطان بالخير.
- الملكة إلزابث : أنسى نفسى لكى أَرْضى نفسى؟
- الملك رتشارد : أجل إذا كان فى ذكرك لنفسك ظلم لنفسك.
- ٤٢٥ الملكة إلزابث : ولكنك قتلت ولدى!
- الملك رتشارد : ولكنى سأدفنهما فى رحم ابنتك،
حيث ينسلان فى ذلك العش التركى ^(١) من نفسيهما
نفوساً تكون عزاء جديداً لك.
- الملكة إلزابث : أمضى لكى أكسب لك رضى ابنتى؟
- ٤٣٠ الملك رتشارد : لتصبحى بذلك أما سعيدة.
- الملكة إلزابث : سأذهب. وأكتب سريعاً إلى فأنبئك برأيها.
- الملك رتشارد : احملى إليها قبلة من حبى الصادق (يقبلها) وإلى اللقاء
(تخرج الملكة إلزابث)
أيتها الحمقاء الغفور الساذجة المتقلبة!
(يدخل راتكليف يتبعه كاتسبى)
إيه! ما وراءك من أنباء؟
- ٤٣٥ راتكليف : مولاي الأجل هناك عند الساحل الغربى
يمخر أسطول قوى؛
وعلى شواطئنا يحتشد كثير من أصدقائنا المترددين الجبناء
بغير سلاح ولا إرادة لصد ذلك الأسطول.

(١) يشير شيكسبير بذلك إلى العش الخرافى فى بلاد العرب الذى أحرقت فيه العنقاء فولدت بذلك عنقاء أخرى.

ويقال إنه بقيادة "ريتشموند"

وقد طوى أشرعته فى انتظار مقدم بكنجهام،

ليرحب بهم ويعيهم على النزول.

٤٤٠

: فلميض أحد أصدقائنا على جناح السرعة إلى دوق نورفوك

الملك ريتشارد

وليكن أنت راتكليف أو كانسبى. أين هو؟

: هأنذا يا مولاي

كانسبى

: كانسبى طر إلى الدوق!

الملك ريتشارد

: سأذهب بأسرع ما يمكن

كانسبى

((إلى راتكليف)) وأسرع أنت إلى سالسبورى، فإذا بلغت... ٤٤٥

((إلى كانسبى)) أيها الوغد الغبى الأحمق.

لم تقف جامدًا هكذا بدل أن تذهب إلى الدوق؟

: قل لى أولا يا مولاي الجليل

كانسبى

ما هى إرادتك السنية وماذا أبلغه عن جلالتك؟

: هذا حق يا عزيزى كانسبى قل أن يجمع فى الحال،

٤٥٠ الملك ريتشارد

أكبر قوة يستطيع جمعها،

ويلقانى سريعًا فى سالسبورى

: سأذهب..

كانسبى

(يخرج)

: وماذا تريدنى جلالتك أن أفعل فى سالسبورى؟

راتكليف

: عجبًا، وماذا تستطيع أن تفعل قبل أن أذهب أنا هناك؟

٤٥٥ الملك ريتشارد

: لقد أمرتنى جلالتك أن أسبقك إلى هناك؛

راتكليف

الملك رتشارد

: لقد غيرت رأيي أيها السيد،

(يدخل لورد ستانلي) ما لديك من أنباء؟

ستانلي

: ليس لي أنباء طيبة يسرك سماعها يا مولاي؛

ولكنها ليست غاية في السوء ومالي بدمن ذكرها.

٤٦٠ الملك رتشارد

: يا له من لغز! ليست طيبة وليست سيئة!

لم تكلف نفسك هذا الالتواء الطويل،

على حين تستطيع أن تقول ما لديك، بأقصر طريق؟

مرة أخرى، ما لديك من أنباء؟

ستانلي

: إن ريتشموند على ظهر البحر.

٤٦٥ الملك رتشارد

: فليغرق هناك، وليركب البحر ظهره،

ذلك الأفاق الرعدي، ماذا يفعل هناك؟

ستانلي

: لا علم لي يا مولاي الجليل إلا بالحدس.

الملك رتشارد

: قل ماذا تحبس، ماذا تحبس؟

ستانلي

: لقد حرضه دورست. وبكنجهام، ومورتون

٤٧٠

على القدوم إلى إنجلترا ليطلب التاج لنفسه.

الملك ستانلي

: أو قد خلا العرش؟ أو قد أغمد سيف الملك،

أم مات الملك، أم اختلفت أمور الدولة؟

من هناك على قيد الحياة من ورثة يورك غيري أنا؟

ومن ملك إنجلترا غير وارث يورك العظيم؟

٤٧٥

: قل لي إذن ماذا يفعل في البحر؟

ستانلي

: ان لم يكن لما قلت، فلا أستطيع يا مولاي أن أحبس سبباً آخر

الملك رتشارد

: لا تستطيع أن تحبس إلا أن هذا "الويلزى"
قد جاء ليكون مولاك؟

٤٨٠

أخشى أن تنتفض وتفر إليه.

ستانلى

: كلا يا مولاى الجليل، فلا تسىء بى الظن.

الملك رتشارد

: أين إذن جيشك ليصيده؟
أن أجزأك وأتباعك؟

أليسوا الآن على الشاطئ الغربى

٤٨٥

ينزلون الثوار من سفنهم فى أمان؟

ستانلى

: لا يا مولاى العزيز. إن أصدقائى فى الشمال.

الملك رتشارد

: أصدقاء فاترون لرتشارد! ماذا يفعلون فى الشمال!
فى حين ينبغى أن يخدموا ملكهم فى الغرب؟

ستانلى

: إنهم لم يؤمروا بذلك يا مولاى الجليل،

٤٩٠

إذن لى، فأجمع أعوانى،

وألقى جلالتك،

فى أى مكان وزمان تحب.

الملك ريتشارد

: نعم، نعم، لنذهب فتنضم إلى ريتشموند!
لن أثق بك أيها السيد.

ستانلى

: مولاى الأجل - ليس هناك ما يدعوك إلى الريبة فى إخلاص،
فما كنت يومًا خائنًا ولن أكونه.

الملك رتشارد

: حسن - اذهب واجمع الرجال.

ولكن عليك أن تترك ابنك "جورج ستانلى" رهينة هنا. فإن لم تدم

على ولائك كان رأس ابنك فى خطر.

ستانلى

: فليكن جزاؤه بقدر إخلاصى لك.

(يخرج) (يدخل رسول)

الرسول

: مولاي الكريم، بلغنى من بعض الأصدقاء،

أن سير إدورد "كورتنى" وأخوه الأكبر الصلف

أسقف "إكستر" مع أعوان كثيرين

قد حشدوا قواتهم فى "ديفونشير"

(يدخل رسول آخر)

٥٠٥ الرسول الثانى

: مولاي، لقد حشدت أسرة "جلفورد" جيشها

وفى كل ساعة يهرع إلى الثائرين

كثير من الأعوان، وتزداد قوتهم.

(يدخل رسول ثالث)

الرسول الثالث

: مولاي، إن جيش دوق بكنجهام الكبير..

: اغربوا عن وجهى أيها الغريان!

٥١٠ الملك رتشارد

لا شىء غير أغنيات الموت (يلطمه)

خذ هذه حتى تجيئنى بأبناء أطيب.

: أن الأنباء التى أحملها إلى جلالتك

الرسول الثالث

هى أن السيول المفاجئة، والأمطار الغزيرة

قد فرقت شمل جيش بكنجهام.

١١٥

وهام على وجهه وحيداً إلى حيث لا يعرف أحد.

: سألتك الصفح! هاك كيسى ليشفى لطمتك.

الملك رتشارد

هل أعلن أحد من أصدقائنا الحصفاء.

عن جائزة لمن يأتي بالخائن؟

٥٢٠ الرسول الثالث : لقد تم ذلك يا مولاي.

(يدخل رسول آخر)

الرسول الرابع : بلغني يا مولاي أن سير توماس لوفل والمركيز دورست

قد حشدوا قواتهما في يوركشير.

ولكني مع ذلك أحمل أنباء أخرى تسر جلالتك

فقد شتت العاصفة أسطول بريتانى.

٥٢٥ وأرسل ريتشموند زورقاً إلى شاطئ دورستشير (١)

ليسأل من هناك هل هم من أنصاره.

فكان جوابهم أنهم قد جاءوا

مع جيش بكنجهام لنصرته؛

ولكنه لم يثق بهم،

٥٣٠ ونشر أشرعته، وعاد إلى بريتانى.

الملك رتشارد : إلى الأمام، إلى الأمام، ما دما قد تهيأنا للحرب!

إن لم يكن لقتال أعدائنا من الأجانب،

فلكى نقضى على هؤلاء الثوار فى أرض الوطن.

(يعود كاتسى)

كاتسى : مولاي - لقد قبض على دوق بكنجهام.

٥٣٥ وهذا خير ما عندى من أنباء

ولكن لدى أنباء أخرى غير طيبة.

(١) دورستشير Dorsetshire.

فقد نزل إيرل ريتشموند مع قوة كبيرة في "ملفورد" (١) "

الملك رتشارد

: إلى سالسبوري! فرما تقرر هناك

مصير معركة فاصلة بينما نتحاور نحن هنا.

وليأمر أحكم أن يحمل بكنجهام إلى سالسبوري

٥٤٠

وليمض سائركم معي.

(أصوات أبواق. يخرجون).

الفصل الرابع

المنظر الخامس

بيت لورد ستانلى

(يدخل لورد ستانلى وسير كريستوفر إيرسويك وهو قسيس)

ستانلى

: أى سير كريستوفر، بلغ هذا عنى إلى ريتشموند

أن ابنى، جورج ستانلى، سجين

فى حظيرة ذلك الخنزير البرى السفاح

فإذا ثرت طاحت رأس جورج،

وهذا ما يمنعى أن أقدم إليه الآن ما فى طاقتى من عون؛

فامض أنت لسبيلكن وبلغ سلامى لعظمته،

وقل له إن الملكة قد وافقت من قلبها

على خطية الملك لابنتها.

ولكن قل لى، أين الأمير ريتشوند؟

٥

: فى "بمبروك"، أو "هارفورد وست" فى "ويلز"

١٠ كريستوفر

: ومن معه من أعلام الرجال؟

دورست

: سير "ولتر هيريت" وهو محارب مغوار،

كريستوفر

سير "جلبرت تالبوت" وسير "وليام ستانلى"

"وايرل أكسفورد" و"ايرل بمبروك" ملقى الرعب فى القلوب.

"وسير جيمى بلنت" و"ريس آب توماس"، مع

جماعة من المقاتلين الشجعان.

١٥

وكثير غيرهم من ذوى الشهرة والقدر .

وهم الآن فى طريقهم إلى لندن .

إن لم يصدهم عنها أحد

: عد إلى مولاك وأبلغه تحياتى،

ستانلى

وسيعرف رأى من هذه الرسالة،

٢٠

إلى اللقاء

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سالمبورى - ساحة كبيرة

(يدخل قائد الشرطة ويكنجهام مع حملة الرماح فى طريقه إلى الإعدام)

- بكنجهام : أيرفض الملك رتشارد أن أتحدث إليه؟
- القائد : أجل يا سيدى اللورد الكريم فتجمل بالصبر.
- بكنجهام : أى هيستتجز، أى ولدى إدورد، أى ريفرز وحرأى
- أيها الملك القديس هنرى، وابنه الجميل إدورد،
- أى فوجان، أى جميع من أصابهم
- الظلم الدنىء والدسائس الحسيسة،
- فلتسخر، من مصرعى بدافع الانتقام،
- أرواحكم الساخطة القلقة،
- إن كانت تنتظر الآن إلى من خلال السحب.
- ١٠ أليس اليوم يا صاحبى يوم "جميع الأرواح" (١)؟
- الضابط : أجل يا سيدى
- بكنجهام : إذن فهو يوم مصرعى.
- إنه اليوم الذى سألت الله أمام الملك إدورد
- أن يقضى على فيه إن خنت أطفاله أو شيعة زوجه
- ١٥ إنه اليوم الذى سألت الله فيه

(١) يوم يحتفل فيه بذكرى الموتى.

أن تقتلنى خيانة من أوليه كل تقتى،
إنه "يوم جميع الأرواح" لنفسى المرتاعة،
إنه اليوم المحتوم
الذى تنتهى فيه آثامى

٢٠

لقد قذف الله العليم بدعواتى الكاذبة
على رأسى قصاصاً من استخفافى به.
واستجاب فى جد لما سألته إياه فى عبث.
وهكذا يجبر سيوف الأشرار
أن تتحول أسننتها إلى صدور أصحابها.
الآن حلت على لعنة مرجريت الثقيلة حين قالت:
"وسينفطر قلبك مما يصيبك به من أسى".
ولسوف تذكر أن مرجريت كانت تحسن التنبؤ
هيا أيها الضباط امضوا بى إلى نطع العار،
فالظلم لا يورث إلا الظلم، والقتل يستتبع القتل

٢٥

الفصل الخامس

المنظر الثانى

المعسكر قرب تامورث Tameorth

(يدخل ريتشموند وأكسفورد وهربرت وآخرون بالطبول والأعلام)

ريتشموند

: يا رفاق، ويا أوفى الأصدقاء،

يا من قرعهم حمل نير الطغيان،

لقد أبعدنا فى أحشاء هذه الأرض

دون عائق، وها نحن أولاء.

قد تلقينا كتابا من أبينا ^(١) ستانلى،

فيه كثير من الطمأنينة والتشجيع.

إن ذلك الخنزير البرى الشقى السفاح المغتصب، ذلك

الذى نهب حصاد حقولكم الصيفي، وكرومكم المثمرة،

وأراق دماءكم الحارة كأنها مياه يغسل بها يديه.

واتخذ لنفسه حوضًا من ماء صدوركم الصادية،

إن ذلك الخنزير القذر يقيم الآن - فيما بلغنا - فى

قلب هذه الجزيرة بالقرب من مدينة لستر،

وليس بين "تامورث" وتلك المدينة إلا مسيرة يوم.

فسيروا باسم الله أيها الأصدقاء الشجعان،

لتجنوا، بمحنة حرب دموية واحدة،

٥

١٠

١٥

(١) زوج أمه.

ثمار السلام الدائم.

أكسفورد : إن ضمير كل منا يقوم فى قتال ذلك السفاح
مقام ألف سيف!

هربرت : ليس لدى شك فى أن أصدقاءه سينقلبون عليه وينحازون إلينا.

٢٠ بلنت : إنه لا أصدقاء له إلا أصدقاء الخوف.
وسيهجرونه فى أخرج ساعاته.

ريتشموند : إن كل شىء يعننا باسم الله سيروا،
إن الأمل الصادق سريع يطير بجناحين؛
إنه يصنع من الملوك آلهة، ومن العامة ملوكًا.
(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ساحة المعركة فى بوسورث (Boworth)

(يدخل الملك رتشارد فى سلاحه مع نورفوك وإيرل سرى وآخرون)

- الملك رتشارد : انصبوا خيامنا فى هذا المكان. بل هنا فى مساحة بوسورث
أى سرى، لم تبدو هكذا عظيم الاكتئاب؟
- سرى : إن قلبى أشد بهجة من وجهى بكثير!
- الملك رتشارد : أى سيدى اللورد نورفوك!
- نورفوك : لبيك مولاي الأجل!
- الملك رتشارد : أى نورفوك، لابد لنا أن نلقى شيئاً من اليأس،
هـ أليس كذلك؟
- نورفوك : لابد لنا أن نعطى ونأخذ يا مولاي العزيز.
- الملك رتشارد : هل أقمتم خيمتى! فسأمضى هنا الليلة
أما غداً، فأين؟ سيان.
- ولكن دعونا من هذا، من منكم استطاع عدد الخونة؟
- ١٠ نورفوك : ستة آلاف أو سبعة على الأكثر
- الملك رتشارد : إيه. إن جيشنا يبلغ ثلاثة أمثال هذا العدد؛
ثم إن اسم الملك قوة كالحصن وهى تنقص العدو.
- أقيموا خيمتى هنا، هيا أيها الرجال الشجعان،
دعونا ندرس ساحة المعركة.

ادعوا بعض الرجال من ذوى الخبرة.

وليكن النظام والسرعة رائدنا،

فإن غدا أيها اللوردات سيكون يوماً حافلاً.

(يدخل من الجانب الآخر من الساحة ريتشموند وسير ولیم براندون وأكسفورد وآخرون، ينصب بعض الجنود خيمة ريتشموند)

ريتشموند : لقد غربت الشمس المنهكة، فى شفق ذهبى.

وخلفت عربتها النارية وراءها ٢٠

طريقاً مؤتلفاً يؤذن بعد مشرق.

أى سير ولیم براندون، ستكون أنت حامل علمى.

اثتوا إلى خيمتى ببعض المداد الورق،

لأرس خطة العركة التى سنخوضها وسيرها،

وأحدد لكل قائد عمله. ٢٥

وأقسم جيشنا الصغير قسمة مناسبة،

أما أنت يا سيدى اللورد أكسفورد، وأنت

يا سير ولیم براندون ^(١)

وأنت يا سير ولتر ^(٢) هربرت، فابقوا معى.

وليق إيرل بمبروك ^(٣) مع كتيبتة.

وليحمل إلينا كابنتين بلنت الكريم تحيتى، ٣٠

وبيلغه أن يأتى إلى فى خيمتى،

(١) براندون. Brandon.

(٢) بمبروك Pembroke

(٣) ولتر هربرت Walter herbert

فى الساعة الثانية صباحًا.

ولكن، بقى شىء واحد يا عزيزى بلنت،

تقوله لى قبل أن تذهب،

أتعلم أين يعسكر اللورد ستانلى؟

٣٥ بلنت

: إن فرقته - إن لم أك أخطأت أعلامه،

وما أظنى فعلت،

ترابط جنوبًا على بعد نصف ميل على الأقل،

من قوة الملك الحاشدة،

ريتشموند

: إن استطعت دون أن تعرض نفسك للخطر،

أى بلنت العزيز، فبلغه تحياتى

٤٠

واحمل إليه منى هذه الرسالة الخطيرة

: قسما بحياتى لأفعلن يا مولاي.

بلنت

والآن طابت ليلتك!

: طابت ليلتك يا عزيزى الكابتن بلنت.

رتشموند

هيا أيها السادة، دعونا نتدبر أمر الغد،

٤٥

هيا، ادخلوا إلى خيمتنا فالهواء بارد رطب.

(يدخلون الخيمة)

(يدخل الملك رتشارد إلى خيمته مع نورفوك وراكليف وكاتسبى

وآخرون)

: كم الساعة؟

الملك رتشارد

: إنها ساعة العشاء يا مولاي، التاسعة.

كاتسبى

: لن أتعشى الليلة.

الملك رتشارد

على بيعض المداد والورق.

أصلت خودتى،

ووضع سلاحى جميعه فى خيمتى؟

: أجل يا مولاي. لقد أعد كل شىء.

كاتسبى

: أى عزيزى نورفوكن أسرع إلى شأنك

الملك رتشارد

ولا تغفل عن الحراسة، واختر حراسًا تثق بهم.

٥٥

: سأذهب يا مولاي

نورفوك

: استيقظ غدًا مع الطير يا عزيز نورفوك.

الملك رتشارد

: اطمئن يا مولاي.

نورفوك

: كاتسبى!

الملك رتشارد

مولاي!

:

كاتسبى

: أرسل رسولاً رسمياً مسلحاً.

٦٠ الملك رتشارد

إلى كتبيه ستانلى ليسأله أن يقدم بقوته قبل مطلع الشمس،

وإلا سقط رأس ابنه جورج

فى كهف الليل المظلم الأبدى. (يخرج كاتسبى)

املاً لى قدحاً من النبيذ، وآتت بساعة (١)

وأسرج جوادى الأبيض، "سرى" لمعركة الغد.

٦٥

وأعد لى رماحاً سليمة غير بالغة الثقل.

راتكليف!

(١) المقصود بالساعة هنا شمعة مقسمة إلى أقسام تحترق فى وقت معلوم.

- راتكليف : مولاي؟
- الملك رتشارد : أرايت لورد نورثمبرلاند ذلك الكئيب (١)؟
- ٧٠ راتكليف : لقد كان يطوف بالجيش ساعة الغسق،
هو وإيرل سرى ينتقل من فصيلة إلى فصيلة،
ليستثير حماسة الجنود.
- الملك رتشارد : هذا يرضيني. أعطنى قدحًا من النبيذ
فإنى على غير عادتى، مثقل مهموم
- ٧٥ : ضعها. هل أعددت المداد والورق؟
- راتكليف : أجل يا مولاي.
- الملك رتشارد : مر حرسى أن يشددوا الحراسة. اتركونى الآن
وعد أنت يا راتكليف إلى خيمتى، قرب منتصف الليل،
لتعنى على ارتداء دروعى. قلت لكم اتركونى.
(يخرج راتكليف ويدخل رتشارد إلى خيمته)
(يدخل دربى إلى ريتشموند فى خيمته والنبلاء وغيرهم مائلون فى
حضرته)
- ٨٠ دربى : قام اليمن والنصر على خوذتك.
- ريتشموند : منحك الليل البهيم
كل راحت يا أبانا النبيل.
قل لى، كيف حال أمنا الحبيبة؟
- دربى : لقد سألتنى، أن أباركك عنها،

(١) لورد نورثمبرلاند (Northumberland) سماه رتشارد الكئيب لأنه لم ينصر قضيته بقلبه.

وهى تدعو دوماً لريتشموند بالخير .
ولكن دعنا من هذا . لقد تسللت الساعات فى صمت
وبدأت الظلمات تتصدع فى الشرق ،
وصفوة القول أن الوقت يقتضى
أن تعجل بالتأهب للمعركة فى الصباح الباكر ،
وأن تتخذ من الطعنات الدامية والقتال المميت
حكماً يقرر مصيرك .

٩٠

أما أنا فإنى لم أقدم عندما كنت أستطيع ،
فكيف بى إذا كان ما أتمناه لا أستطيعه ؟
على أنى سأتحين الفرصة للتحايل على الزمن وأتى
لنجدتك فى تلك المعركة التى لا يمكن أن يجزم بنتيجتها أحد .
وددت لو استطعت أن أجهز بمناصرتى لك .

٩٥

ولكن أخشى أن ينكشف أمرى ،
فيقتل أخوك ، الغض الإهاب ، جورج ، فى حضرة أبيه .
إلى اللقاء ، فإن ضيق الوقت وحرجه ، لا يسمحان
بإظهار آيات الود وعهوده ، ولا بالاسترسال
فى تبادل الحديث العذب ،

١٠٠

الذى يتوق إليه صديقان افترقا طويلاً .
ألا فليمنحنا الله فسحة من الوقت ، نقيم فيها شعائر الود هذه .
وأقول لك مرة أخرى ، إلى اللقاء . ولتكن مقداماً ،
وليكتب الله لك النصر .

: أيها السادة الأعزاء رافقوا إلى كتيبتى ،

ريتشموند

وسأحول - على ما بى من قلق - أن أختلس شيئاً

حتى لا يؤودنى النوم الثقيل فى الغد،
على حين ينبغى أن أطيّر حينئذ بجناحى النصر.
ومرة أخرى أقول لكم طابت ليلتكم أيها النبلاء والسادة الأعزاء.
(يخرجون ويركع ريتشموند)

ارع، بعينك الرحيمة، جنودى:
وضع فى أيديهم سيوف غضبك القاطعة،
ليسحقوا بضرباتهما الثقال،
خوذات أعدائنا الغاصبيين:
ويطيحوا بها إلى الأرض

واجعل منا رسل عقابك لنحمدك عند النصر!
إليك أسلم نفسى اليقظى،
قبل أن يسدل النوم ستاره على عيني.
فاحرسنى فى نومى وبقظتى.
(ينام) (يظهر شيخ الأمير إدورد ولد هنرى السادس بين الخيام)

: (إلى ريتشارد) فلأجثمن على روحك غداً.

أتذكر كيف طعنتنى فى ريعان شبابى فى توكسبرى؟
فليحل بك اليأس والموت، إذن!
(إلى ريتشموند) تشجع أى ريتشموند، فإن أرواح القتلى من
الأمراء المظلومين تقاثل معك،
أنا ولدى الملك هنرى، جئت ألقى فى نفسك الطمأنينة.
(يختفى) (يظهر شبح هنرى السادس)

الشبح : (إلى رتشارد) لقد أثنخت جسدی بطعناتك القاتلة

قبل أن أنتقل إلى دار الخلود. ١٢٥

فليحل بك اليأس والموت.

أنا هنرى السادس أبشرك باليأس والموت.

(على ريتشموند) أيها التقى الظاهر، فليكتب لك النصر.

أنا هارى - الذى تنبأ لك بالملك - ١٣٠

جئت أطمئنك فى منامك. فلتعش ولتسعد.

(يظهر شبح كلارنس)

الشبح : (إلى رتشارد) فلأجثمن على روحك غداً أنا كلارنس المسكين الذى

قتلته خيانتك، وغسلته فى النبيذ الكثيف،

اذكرنى غدا فى المعركة، ١٣٥

وألُق من يدك سيفك المتلوم، وليحل بك اليأس والموت!

(إلى ريتشموند) أى سليل لانكستر،

إن ورثة يورك، الذين ظلموا، يصلون من أجلك:

فلتحرسك فى قتالك الملائكة الأخيار! ولتعش، ولتسعد!

(تظهر أشباح ريفرز وجرى وفوجان)

١٤٠ شبح ريفرز : (إلى رتشارد) فلأجثمن على روحك غدا!

أنا ريفرز قتيل بومفرت؛ فليحل بك اليأس والموت.

شبح جرى : (إلى رتشارد) اذكر جرى، وليحل بروحك اليأس

شبح فوجان : (إلى رتشارد) اذكر فوجان، ولتصبك خطاياك بخوف يلقى رمحك من

يدك،

وليحل بك اليأس والموت.

الجميع

: (إلى رتشموند) انهض! واذكر أن ما اقتترف رتشارد فى حقنا من ظلم
يثوى فى صدره ويهزمه. انهض واكسب المعركة.

(يظهر شبح لورد هيستنجز)

الشبح

: (إلى رتشارد) أيها السفاح الأثيم، انهض متقللاً بالإثم،
واختم أيامك فى معركة دامية!

اذكر اللورد هيستنجز وليحل بك اليأس والموت

(إلى رتشموند) أيتها النفس الراضية المطمئنة انهضى، أنهضى!

١٥٠

وخذى سلاحك وقاتلى وانتصرى من أجل إنجلترا العزيرة

(يختفى) (يظهر شبحا الأميرين الصغيرين)

: (إلى رتشارد) فلتحلم بوليد أخيك الصغير اللذين خنقا فى البرج:

الشبحان

ولنجثمن كالرصاص الثقيل على صدرك أى رتشارد

ولنتقلنك حتى يحل بك الدمار والخزى والموت!

إن روحى ولدى أخيك يبشرانك باليأس والموت

١٥٥

(إلى رتشموند) أى ريتشموند - نم - نم -، نم فى

سلام واستيقظ فى سرور وحبور

ولتحرسك الملائكة بين الأخيار من شر الخنزير البرى!

عش وأنجب نسلا سعيداً من الملوك،

إن ولدى إدورد البائسين يطلبان لك التوفيق.

(يختفيان) (يطير شبح آن زوجه)

: (إلى رتشارد) أى رتشارد - هذه زوجك، زوجك،

الشبح

الشقية

١٦٠

آن التى لم يغمض لها جفن معك،

تملاً الآن نومك بالقلق. اذكرنى غداً فى المعركة،
وليسقط سيفك المثلوم من يدك.
وليحل بك اليأس والموت!

(إلى ريتشموند) أيها الروح المطمئن نم فى سلام:
واحلم بالنجاح والنصر السعيد!
إن زوج خصمك تدعو لك.
(يظهر شبح بكنجهام)

١٦٥

الشبح : (إلى ريتشارد) لقد كنت أول من أعانك لتظفر بالتاج،

وكنت آخر من ذاق طعم طغيانك:

إيه، فلنذكر فى المعركة. بكنجهام،

١٧٠

ولتمت رعباً مما تجده فى آثامك!

احلم، احلم بخطاياك الدموية وبالموت.

ولتصبك غشية تدفعك إلى اليأس، ولتلفظ فى يأس

آخر أنفاسك.

(إلى ريتشموند) لقد مت من اليأس قبل أن أستطيع خدمتك

لكن لا تبتئس وتشجع!

١٧٥

إن الله، وملائكته الأخيار، يقاتلون فى صف ريتشموند،

وسيهوى ريتشارد من علياء مجده (يخفى)

(يستيقظ ريتشارد من حلمه)

الملك ريتشارد : على بجواد آخر! ضمدوا جراحى!

رحماك يا عيسى، رفقا لقد كان مجرد حلم!

أيها الضمير الوجل، كما تعذبنى!

١٨٠

إن الشموع ترسل لها أزرق^(١)، إننا الآن فى منتصف الليل،
لقد غطت قطرات العرق الباردة الوجلة جسدى المرتجف،
ولكن من أخاف؟ نفسى؟ فليس هنا أحد غيرى
إن رتشارد يحب رتشارد، إنى أنا هو أنا،
أهنا من يريد أن يغتالنى؟ كلا أجل إنه أنا..

١٨٥

إن فلهرب ولكن أأهرب من نفسى؟ يا له من سبب! ولماذا...
لكى لا أنتقم منها؟ ولكن أنتقم نفسى من نفسى؟
وا أسفاه إنى أحب تفسير ولم؟
ألاى خير قدمته نفسى لنفسى؟

أواه لا. وا أسفى بل ينبغى أن أبغض نفسى
لما اقترفته من آثام.

١٩٠

إنى شرير ولكنى أكذب وأزعم أنى لست كذلك،
أيها الأحمق أحسن الثناء على نفسك،
أيها الأحمق لا تتصنع الثناء! إن لضميرى
ألف لسان:

وكل لسان يحكى قصة:

١٩٥

وكل قصة تتطق بأنى شرير.

الخيانة، الخيانة فى أبشع صورها،
والقتل، القتل الأثيم فى أقسى ألوانه.
جرائم مختلفة فى صور متعددة،

تزدحم كلها فى ساحة القضاء وتصيح: مذنب،

٢٠٠

(١) كان ذلك عندهم يعنى وجود أرواح فى المكان.

مذنب!

ليس لى إلا اليأس فما من أحد يحبني،
وإذا مت فلن يأسى أحد لموتى.

أجل ولم يأسون،

وأنا نفسى لا آسى لنفسى؟

لقد خيل إلى أن أرواح الذين قتلهم جميعًا

٢٠٥

جاءت إلى خيمتى،

وتوعد كل منها بالانتقام

ينصب غدًا على رأس رتشارد.

(يدخل راتكليف)

راتكليف : مولاي!

الملك رتشارد : رباه! من هناك؟

٢١٠ راتكليف : إنه أنا يا مولاي. لقد حياديك القرية الصباح مرتين،

ونهب أصدقائك لبسوا دروعهم

الملك رتشارد : لقد رأيت حلمًا مزعجًا.

أتعتقد أن أصدقاءنا سيثبتون جميعًا على ولائهم؟

راتكليف : بلا ريب يا مولاي

٢١٥ الملك رتشارد : أى راتكليف إنى أخاف... أخاف....

راتكليف : لا يا مولاي العزيز، لا تخف من أشباح:

الملك رتشارد : وحق " بولس القديس" لقد ألقى الأشباح الليلة فى قلب رتشارد

من الرعب ما لا يستطيع أن يلقيه عشرة آلاف

مقاتل، فى الحقيقة.

مسربلين فى الدروع المحكمة

يقودهم ريتشموند الأحق.

٢٢٠

إن النهار لم يقترب بعد، فتعال معى

استرق السمع بين خيامنا

الأرى أينوى أحد أن يخوننى

(يخرجان)

(يدخل النبلاء إلى ريتشموند وهو جالس فى خيمته)

: صباح الخير يا ريتشموند!

النبلاء

: معذرة أيها النبلاء والسادة اليقظون

٢٢٥ ريتشموند

إذ وجدتمونى هنا على تلك الحال من البطء والكسل.

: كيف كان نومك أى سيدنا اللورد؟

النبلاء

: أعذب نوم، وأيمن أحلام طافت برأس نائم،

ريتشموند

منذ أن غادرتمونى أى سادتى، اللوردات.

٢٣٠

لقد خيل إلى أن أرواح من قتلهم رتشارد

جاءت إلى خيمتى وبشرتتى بالنصر.

وانى لأؤكد لكم أن البهجة تملأ نفسى

لذكرى ذلك الحلم الجميل.

كم بقى على مطلع النهار أيها السادة، اللوردات؟

٢٣٥

: إن الساعة توشك أن تدق الرابعة،

النبلاء

: إذن فقد حان الوقت لنحمل سلاحنا، ونهيبى جنودنا للمعركة،

ريتشموند

(خطبته فى جنوده الذين تجمعوا حول خيمته)

أيها المواطنون الأوفياء، إن هذا الوقت الضيق الحرج

لا يسمح لى أن أقول أكثر مما قتل. ومع ذلك
فلتذكروا هذا:

٢٤٠

إن الله وقضيتنا العادلة يحاربنا إلى جانبنا،
ودعوات القديسين الأبرار والأرواح المظلومة تقف
أمام وجوهنا كالمعاقل المنيعه.

وإن من نقاتلهم - ما عدا رتشارد - يؤثرون أن يكون النصر لنا

على أن يكون ذلك الذى يقودهم.

٢٤٥

ومن ذلك الذى يقودهم، أيها السدة،

غير طاغية قاتل سفاح،

رجل نشأ فى الدماء، وأسس ملكه على الدماء.

رجل يتخذ كل وسيلة للوصول إلى ما يريد.

ثم يقتل كل من كانوا وسيلته إلى غايته.

٢٥٠

حجر خسيس جعله عرش إنجلترا نفيساً،

ذلك العرش الذى يجلس عليه بدون حق.

رجل كان دائماً عدوًا لله.

فإن حاربتموه فسيرعاكم الله

بعدله كما يرعى جنده،

٢٥٥

إن جهدتم الآن لتقضوا على طاغية،

فستنامون بعد فى سلام حين يقتل ذلك الطاغية.

وإن حاربتكم الآن عدو بلادكم؛

فسيكون من خير بلادكم لجهدكم أجزل الأجر.

وإن حاربتكم لتحموا نساءكم،

٢٦٠

فإن نساءكم سيرحبن بعودتكم ظافرين،

وإن حررتم أطفالكم من حكم السيف،
فسيجزىكم أحفادكم فى شيخوختكم.
فباسم الله إذن، وباسم هذه الحقوق جميعاً.

٢٦٥

ارفعوا أعلامكم وأشهروا سيوفكم المتعطشة إلى القتال.
أما أنا فستكون جثتى الهامدة على وجه هذه الأرض الباردة
فداء لمقصدى الجرىء.

على أنه إن قدر لى النجاح ونلت مقصدى،
فسينال كل منكم - حتى أدناكم - نصيبه منه.
دقوا الطبول، وانفخوا فى الأبواق، فى شجاعة واستبشار؛
الله والقديس جورج! ريتشموند والنصر
(يخرجون) (يعود الملك رتشارد وراتكليف مع رفاق وجنود)

الملك رتشارد : ماذا قال نورثمبرلاند عن ريتشموند؟

راتكليف : قال إنه لا خبرة له بفنون الحرب.

الملك رتشارد : لقد قال حقاً. وماذا كان جواب سرى؟

٢٧٥ رتشارد : ابترسم ثم قال: ذلك خير لنا.

راتكليف : لقد نطق بالصواب. فالحق أن ذلك خير لنا.

(تدق الساعة)

عد دقائق تلك الساعة. أعطنى تقويمًا. من

رأى منكم الشمس اليوم؟

راتكليف : إنى لم أرها يا مولاي

الملك رتشارد : إذن فهى تأبى أن تشرق،

فقد كان ينبغى حسب التقويم أن تكون قد أشرقت منذ ساعة

ليكونن يوماً أسود عند بعض الناس! راتكليف!

راتكليف : مولاي؟

الملك ريتشارد : لن تطلع الشمس اليوم.

فإن السماء تقطب في وجه جيشنا وتطبق سحبها عليه.

وددت لو أن هذه الدموع الندية كانت من الأرض.

٢٨٥

لن تطلع اليوم!

وماذا يعنيني من هذا أكثر مما يعنى ريتشموند؟

إن تلك السماء التى تعبس فى وجهي،

تعبس كذلك فى وجهه.

(يدخل نورفوك متعجلاً)

نورفوك : إلى السلاح! إلى السلاح يا مولاي - فقد انتشر

الأعداء فى ساحة المعركة.

٢٩٠

الملك ريتشارد : هيا - تحركوا تحركوا - أعد جوادي.

ادع لورد ستانلى واسأله أن يقدم بقوته،

وسأقود أنا جنودى إلى السهل حيث أدير المعركة،

وسأعبي طليعتي فى خط واحد طويل

من الفرسان والمشاة على السواء؛

٢٩٥

وسيكون رماتنا فى الوسط.

وسيقيود دوق نورفوك المشاة؛

ويقيود الفرسان توماس إيرل سرى

وستتبعهما حين يتقدما

على هذا النحو بقلب الجيش،

٣٠٠

يقيه من الجانبين جناحان من خيرة فرساننا.
هذا هو ما أوصيكم به، وليعنا القديس جورج.
ما رأيك يا نورفوك؟

نورفوك

: خطة حكيمة أيها الملك الباسل.

لقد وجدت هذه على خيمتي في هذا الصباح.
(يريه ورقة)

٣٠٥ الملك رتشارد : (يقرأ) "أى جوكى نورفوك، لا تغرق في الأمل
فإن سيدك سيكون ^(١) قد اشتراه رجاله وباعوه ^(٢) "
هذا من عمل العدو.

اذهبوا أيها السادة كل إلى شأنه،
فلن تخيفنا أضغاث الأحلام.

٣١٠

إن الضمير ليس إلا كلمة يتداولها الجبناء،
قصد بها أول الأمر أن تخيف الأقوياء،
فليكن جيشنا القوى ضميرنا، والسيوف شريعتنا،
سيروا قدمًا. وأقدموا شجعان على القتال،

ولتتمض هذه الحرب الضروس، إن لم يكن إلى النعيم، فيدًا في يد إلى
الجحيم!

(خطبته في جيشه)

٣١٥

ماذا أقول فوق ما قلت؟

اذكروا أن من ستلقونهم عصابة من الأفاقيين،

(١) جوكى الاسم الشعبى لجون.

(٢) وديكون لرتشارد.

والأوغاد والهاربين من وجه العدالة،
حثة من أهل بريتانى والفلاحين الأذلاء
لفظتهم بلادهم المتخمة

٣٢٠

إلى المغامرة اليائسة والهلاك المحقق،
رأوكم تنامون فى سلام فجلوا إليكم القلق،
رأوكم تمتلكون الأرض، وتتعلمون بزوجات جميلات
فأرادوا أن يغتصبوا الأولى، ويدنسوا الأخرى،
ومنذ الذى يقودهم غير إنسان حقير،

٣٢٥

عاش طويلاً فى بريتانى على نفقة أمنا^(١)؟
إنسان ناعم مخنث لم يشعر قط فى حياته بأيسر المقشة،
فلنجد هؤلاء الأفاقين ونلق بهم إلى البحر مرة أخرى،
ولنطرد بالسياط تلك الخرق من الفرنسيين الأذعاء،
فندهم وراء البحر إلى حيث كانوا،
ونجد هؤلاء السائلين الذين أضناهم الجوع

٣٣٠

كجرزان ذليلة،
فسئموا حياتهم وكان حراً بهم أن يشنقوا، من
عوز، أنفسهم،
لولا ما يراودهم من أحلام بهذه الغنائم الجزيلة.
إن كان علينا أن نقهر فليقهرنا رجال،
لا أولاد الزنا هؤلاء من أهل بريتانى،

(١) يذهب بعض الشراح إلى أن كلمة "أمنا" فى هذا الموضع خطأ صوابه "أخيها" أى صهر ريتشارد دوق
برجنديا (Burgundy) الذى أعان ريتشموند فى منفاه.

أولئك الذين قهرهم آباؤنا عن عقر دارهم وأذاقوهم الأمرين،
وأورثوهم عارا سجله التاريخ،
أسيتمتع هؤلاء بخيرات أرضنا؟ ويضاجعون نساءنا
ويغتصبون بناتنا؟

(صوت طبول من عبد)

أصيخوا! أنى أسمع طبولهم،

قاتلوا يا سادة إنجلترا، قاتلوا أيه الرجال البواسل،

أطلقوا سهامكم أيها الرماة، صوبوها إلى الرؤوس!

أهمزوا جياذكم الكريمة فى عنف وخوضوا فى الدماء.

ولترع السماء رماحكم المتكسرة. (يدخل رسول)

ماذا قال اللورد ستانلى؟ أسيقدم بقواته؟

الرسول

: إنه يأبى أن يفعل يا مولاي.

٣٤٥ الملك رتشارد : فلتطح رأس ابنه جورج

نورفوك : مولاي، لقد اجتاز العدو المستنقع

فلننظر فى أمر موته بعد المعركة.

الملك رتشارد : إن فى صدر ألف قلب ضخم،

ارفعوا أعلامنا وشدوا على أعدائنا،

أى جورج القديس الكريم يا وحى شجاعتنا من قديم

٣٥٠

امنحنا بسالة كبسالة تنين هائل،

إليهم! وليقم النصر على خوداتنا!

(يهجمون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

مكان آخر من ساحة المعركة

(ضجة وحركة. يدخل نورفوك مرة أخرى وقوات تقتتل - يقترب منه كاتسبى)

كاتسبى : النجدة يا سيدى نورفوك، النجدة! النجدة!

إن الملك يأتى بعجائب فوق طاقة البشر،

ويلقى كل حملة من الأعداء بحملة مثلها،

ولكن جواده قتل، وهو الآن يحارب رجلاً،

ويبحث فى حومة الموت عن ريتشموند،

النجدة أيها السيد الكريم، وإلا خسرنا المعركة

(صوت بوق - يدخل الملك رتشارد)

الملك رتشارد : جواد! جواد! مملكتى لقاء جواد!

كاتسبى : تفهقر يا مولاي، وسأجيبك بجواد.

الملك رتشارد : أيها العبد، لقد قامرت بحياتى وسأقل ما يجىء

١٠ به القدر (١)

يخيل إلى أن فى ساحة المعركة ستة كريتشموند،

فقد قتلت اليوم خمسة بدلاً منه.

جواد! جواد! مملكتى لقاء جواد! (يخرجون)

(١) فى الأصل ما يجىء به "النرد" أى الحظ فى اللعب بالنرد.

الفصل الخامس

المنظر الخامس

مكان آخر من ساحة المعركة

(أبواق - يدخل رتشارد وريتشموند يقتتلان. يقتل رتشارد. تقهقر

وأبواق - يعود رتشموند وستانلى يحمل التاج ونبلاء كثيرون آخرون)

ريتشموند : حمداً لله ولسيوفكم أيها الأصدقاء المظفرون!

لقد كسبنا المعركة ومات الكلب السفاح.

درى : أى ريتشموند الشجاع لقد حققت أملنا فيك.

انظر، ها هو ذا التاج الذى طال اغتصابه

انتزعه من جبين ذلك الشقى السفاح،

ليزين جبينك.

فضعه على مفرقك، واستمتع به طويلاً.

ريتشموند : أجب دعاءه يا رب السموات المجيد.

ولكن قل لى، ألا يزال جورج ستانلى الصغير على قيد الحياة؟

١٠ درى : أجل يا مولاي وهو الآن فى مأمن فى مدينة لستر.

ولعلنا الآن نستطيع إذا أذنت أن نسير إلى هناك.

ريتشموند : من قتل من أعلام الرجال من الفريقين؟

درى : جون دوق نورفوك، ولتر لورد فيروز^(١)

وسير روبرت براكنبرى^(٢)، وسير وليام براندون،^(١)

(١) ولتر لورد فيروز Walter Lord Ferres

(٢) سير روبرت براكنبرى Robert Brakenbury

ولتعلنوا العفو عن يهود

مستسلماً من الجنود الهاربين،

وحين نأخذ على أنفسنا العهد

سنوحد بين الوردة البيضاء ^(٢) والوردة الحمراء،

فلتبسمي أيتها السماء لتلك الوحدة الجميلة.

٢٠

كما طال عبوسك لما كان بين هذين الفريقين من شحناء.

ما أظن أن بيننا خائناً لا يؤمن على هذا الدعاء.

لقد طال بإنجلترا هذا الجنون، وطالما أثخنتم أنفسها بالجراح

وطالما أراق الأخ في ضلالتة دماء أخيه.

وقتل الأب في جهالة ولده،

٢٥

واضطر الولد إلى قتل أبيه.

كل هذا فرق بين يورك ولانكستر

فرقة كانت وبالأعلى عليهما.

والآن فليجمع النسل الحر

لهذين البيتين الملكيين ريتشموند والزابث

٣٠

شمل يورك ولانكستر المتصدع،

وليكتب الله بفضلته

لأولادهما أن يدوم اتحادهما

ويفيضوا على المستقبل السلام السمح،

(١) سير وليام براندون William Brandon

(٢) شعار البيتين المتحاربين على ملك إنجلترا آل يورك وآل لانكستر.

والرخاء البسام، والأيام الجميلة السعيدة.

أى ربى الكريم، اكسر شوكة الخونة.

الذين يتمنون أن يعيدوا تلك الأيام الدامية؛

ويريقوا دموع إنجلترا فى أنهار من الدماء.

لا تكتب لهم أن يذوقوا رخاء هذه الأرض،

فيسطعنون بخيانتهم سلامتها.

الآن برئت جراحنا وعاد السلام، مرة أخرى،

فلتطل بيننا حياته. آمين

(يذهبون)

فهرس

الفصل الأول ٩

الفصل الثاني ٦٩

الفصل الثالث ٩٤

الفصل الرابع ١٤٢

الفصل الخامس ١٩١

1993/3560

رقم الإيداع

ISBN

977-02-4040-0

الترقيم الدولي

١/٩١/٤١٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)